موقف بريطانيا من اليهود

في عصر الاصلاح الديني

The British position of the Jews

م. شاهين سهام عبد الرزاق

M. Teacher:ShahinSiham Abdel Razzaq

جـامـعـة ديـالـى / كـلية الـتربية الـمـقداد

University: Diyala

Summary

The beginning of the religious reform that had the great effect of changing the position of the Europeans and then the English of the Jews and in the period of the reign of the new King Henry VII, who ascended the throne of England, in his custody, the English church broke up with the Catholic Church in Rome, and when Christianity appeared and was accused of the teachings of the Torah, especially the Israelites, but the Jews did not accept the invitation of Issa (peace be upon him), but the hostility.

Christians continued to be invited after Issa (peace be upon him) and continued to be combated and persecuted by the Roman emperors. There was a conflict between the Apostle Issa (peace be upon him) and the pro-Christian groups, and the current Christians, who was a Jewish fanatic against the

Christian, and this struggle continued until the tide of the future (Pauls) prevailed. The voice of unification was silenced until (Pauls) decided that Christianity was not a Jewish doctrine of the Israelites, but a new religion that it makes her invitation open to non-Jews until they take care of the Christian Emperor Constantine over Paul's doctrine and give Paul his followers. Freedom of worship.

It is clear from the foregoing that the freedom of religious reform in Europe has a final outcome of three dimensions:-

1. The national dimension that represents the achievement of religious independence.
2. The internal correctional dimension in each state and within the churches as well.
3. After opening up the Old Testament translator, which has improved the image of the Jews in Europe.

Of course, England is part of Europe and is directly affected by religious reform and has an impact on the attitude of the British Jews.

المقدمة

تسلم آل تيودور الحكم في إنجلترا في نهايات القرن الخامس عشر، وتحديداً سنة ١٤٨٥م، عندما تمكن هنري السابع من اعتلاء عرش إنجلترا. وتمكن الملك الجديد من بناء دولة قوية يسيطر ملكها على الأوضاع الداخلية فيها بشكل جيد(١). وفي عهد هذه الأسرة حدث انفصال الكنيسة الإنجليزية عن الكنيسة الكاثوليكية في روما[٢]، وبدأ عهد الإصلاح البروتستانتي في إنجلترا[٣].لكن الحديث عن الإصلاح الديني في إنجلترا يتطلب توضيح ظروف الكنيسة الكاثوليكية التي انفصلت عنها إنجلترا، ومعرفة حيثيات الإصلاح الديني في أوروبا بشكل عام وكيف تأثرت به بريطانيا، خاصة وأن الإصلاح الديني كان له أثر كبير في تغيير موقف الأوروبيين، ومن ثمّ الإنجليز، من اليهود. وهذا ما سيتناوله الفصل الحالي، حيث سيتطرق المبحث الأول لموضوع الإصلاح البروتستانتي في أوروبا إذ سيبدأ بتمهيد عن المسيحية وما طرأ عليها من

انحرافات استدعت قيام حركات الإصلاح الديني. أما المبحث الثاني فسيعالج الكيفية التي انفصلت بها إنجلترا عن الكنيسة الأم في روما. والمبحث الثالث سيتابع تطورات وتفاعلات الإصلاح الديني في إنجلترا والتي بلغت أوجها في منتصف القرن السابع عشر حيث نجح أتباع المذهب البروتستانتي من إثارة موضوع السماح لليهود بالعيش في بريطانيا من جديد.

المبحث الأول

الإصلاح الديني في أوروبا

الديانة المسيحية هي ديانة سماوية أُنزلت على عيسى عليه السلام مكملة لرسالة موسى عليه السلام، ومتممة لما جاء في التوراة من تعاليم، وموجهة خاصة لبني إسرائيل. لكن اليهود لم يقبلوا دعوة عيسى عليه السلام بل ناصبوه العداء(٤). ولم تكترث الدولة الرومانية بدعوة عيسى عليه السلام في البداية، لأن دعوته موجهة لبني إسرائيل فقط. لكن الأمر لم يستمر على هذا الحال إذ سرعان ما تبدل الحال، وانتهى الأمر بمحاكمته بتهمة الخيانة والسعي إلى صلبه. ويزعم النصارى أنه صُلب وقُتل(٥)، ولكن الحقيقة أن الله نجّاه من كيدهم ورفعه إليه.

واستمرت الدعوة بعد عيسى عليه السلام، ورفع لواءها حواريوه، واستمرت محاربتهم واضطهادهم من جانب الأباطرة الرومان(٦)، ولم يُرفع الاضطهاد عنهم إلا بصدور مرسوم ميلان ٣١٣(٧) حيث تم الاعتراف بالمسيحية من قبل الإمبراطورية الرومانية. وخلال تلك القرون الثلاثة كان هناك صراع يدور بين حواريي عيسى عليه السلام والجماعات المؤيدة لهم، وبين تيار نصراني آخر بقيادة بولس(٨) (٥-٦٧م) Paul، الذي كان يهودياً متعصباً ضد النصارى، وممن شاركوا في اضطهادهم(٩)، ثم انقلب فجأة ليدافع عنهم مدعياً أنه تلقى وحياً ضمنّه فيما يُعرف بالرسائل المنسوبة إليه. واستمر هذا الصراع حتى تغلب تيار بولس وأُسكت صوت التوحيد. وظهرت نصرانية مستندة إلى تعاليم بولس التي استمدها من الفلسفات القديمة والديانات الوثنية. فأدخل في النصرانية تأليه المسيح وعقيدة التثليث وغيرها من العقائد، لكن النصارى يعتبرون بولس من أهم وأعظم شخصياتهم التاريخية والدينية، وينسبون له حوالي كتابة ثلث العهد الجديد (١٠).

قرر بولس أن النصرانية ليست مذهباً يهودياً خاصاً ببني إسرائيل، بل هي دين جديد وأن عليها أن تجعل دعوتها مفتوحة لغير اليهود (١١) وورد في الكتاب المقدس في سفر أعمال الرسل (٩: ١٥) أن الله أمر بولس بتوسيع الدعوة لتشمل الأمم " فأمره الرب: اذهب فقد اخترت هذا الرجل ليكون إناء يحمل اسمي إلى الأمم والملوك وبني إسرائيل". وتساهل بولس في الكثير من التشريعات والعقائد والطقوس، وجاء بنصرانية جديدة خالف بها دعوة عيسى عليه السلام، وما زال العالم المسيحي، في معظمه، يعيش على معتقدات هذا الرجل الذي حرّف بها النصرانية الموحدة(١٢).

وبعد ذلك اعتنق الإمبراطور قسطنطين المسيحية على مذهب بولس. ومنح بولس وأتباعه حرية العبادة، كما أن المجامع النصرانية التي انعقدت تحت سلطة الإمبراطور ووفقاً لتوجيهاته، انحازت لآراء بولس وطاردت الموحدين والمخالفين للكنيسة في الرأي(١٣). وبحلول سنة ٣٩٢ أصبحت النصرانية الديانة الرسمية للدولة الرومانية وانتشرت على إثر ذلك في أوروبا الغربية جميعها، بل إن تاريخ أوروبا ارتبط في مساره العام بالنصرانية. ولم يلبث أن بدأ الضعف يدب في أوصال الإمبراطورية الرومانية. وفقد آخر إمبراطور روماني سلطته سنة ٤٧٦، وحينها انقسمت الإمبراطورية الرومانية إلى قسمين: الشرقية والغربية. واستولى على الأخيرة القبائل الجرمانية التي قسمتها إلى ممالك صغيرة، لكن أوروبا الغربية بقيت موحدة دينياً. وتبع الانقسام السياسي انقساماً دينياً، فأصبح هناك كنيسة شرقية مركزها القسطنطينية، وأخرى غربية مركزها روما. ويُعرف أتباع الكنيسة الشرقية بالأرثوذكس، وينتشرون في روسيا وبعض دول البلقان بينما يُعرف أتباع الكنيسة الغربية بالكاثوليك، ويعيشون في إيطاليا وبلجيكا وفرنسا وإسبانيا والبرتغال.

وفي العصور الوسطى طغت سلطة الكنيسة، ومارست أبشع أنواع الاضطهاد والظلم. فبالإضافة إلى ما أدخلته الكنيسة من تحريف في العقائد وانحرافات أعطتها قدسية من خلال المجامع الكنسية، فقد مارست الكنيسة أنواعاً من الطغيان الروحي والعقلي، فجعلت لنفسها حق التفرد بمعرفة أسرار العقيدة وفهم الكتاب المقدس، وربطت الكنيسة إيمان الناس بها من غير فهم ولا مناقشة، فحجبت العقول عن التفكير وفهم الدين، بل منعت الناس من التفكير في مسائل الكون والحياة وفقاً لما يقتضيه العلم من الملاحظة والمشاهدة. ونشأت دواوين التحقيق تصادر كل رأي مخالف لما تقرره الكنيسة من أفكار. ومارست الكنيسة ألواناً من الطغيان المادي بما فرضته من ضرائب وإتاوات على الأراضي والناس. وأعطت الكنيسة لنفسها حق منح صكوك الغفران

للمسيحيين مقابل دفعهم مبالغ مالية لقاء ذلك، وساد في أوساط الكنيسة نوع من الفساد الأخلاقي والانغماس في الترف والملذات(١٤).

بلغ النفوذ البابوي ذروته في القرن الثاني عشر والثالث عشر، لكن مركز البابا تعرض لهزة عنيفة عندما جمع بين كونه صاحب السلطة الدينية الروحية وبين كونه حاكماً دنيوياً، وأصبح له بلاط ملئ بالترف والانحراف. ثم فقدت البابوية هيبتها في القرن الرابع عشر خاصة بين سنتي ١٣٠٥-١٣٧٧ عندما اعتلى عرش البابوية باسم البابا كليمنت الخامس(١٥) (١٢٦٤-١٣١٤) Clement V، ورأى البابا الجديد أن يبقى في فرنسا وتمت مراسم توليته في ليون بدلاً من روما، وجعل مدينة أفينون(١٦)Avignon مقراً له، وبقيت البابوية هناك خاضعة للملكية الفرنسية حوالي اثنتين وسبعين سنة. وبذلك فقدت البابوية الكثير من هيبتها وزعامتها العالمية(١٧). وازداد انهيار مركز البابوية سنة ١٣٧٨م عندما حدث الانقسام البابوي العظيم (١٣٧٨-١٤١٧) وتم انتخاب بابا في مدينة أفينون الفرنسية بالإضافة إلى بابا روما(١٨).

ورغم أن حالة الانقسام قد انتهت، وتوحدت البابوية من جديد في روما وحُسم الخلاف وانتهت حالة الانقسام. لكن المشكلة لم تنته الأمر الذي دفع المفكرين للبحث في الموقف والمطالبة بالإصلاح الديني. وقد مرت عملية الإصلاح بمرحلتين. وتتمثل المرحلة الأولى في محاولات إصلاح الكنيسة من الداخل، حيث برزت مجموعة من المصلحين الذين فضحوا فساد الكنيسة وانتقدوا احتكارها لتفسير نص الكتاب المقدس، وساهموا في إحياء اللغة العبرية باعتبارها المفتاح الرئيسي لفهم الكتاب المقدس، كما قاموا بترجمة الكتاب المقدس إلى اللغات المحلية في بعض الدول الأوروبية، ومن أشهر هؤلاء المصلحين جون وايكليف، وإرازموس(١٩) (١٤٦٦-١٥٣٦م). وكان من نتائج دعوات الإصلاح في المرحلة الأولى أن خلقت أجواءً معارضة لمسلكيات الكنيسة والكثير من مفاهيمها، رغم أن هؤلاء المصلحين لم يقصدوا الخروج على الكنيسة الكاثوليكية، وكانوا يعتقدون بسمو مكانة البابا(٢٠).

ولما فشلت عملية الإصلاح من الداخل، بدأت المرحلة الثانية من الإصلاح الديني إذ ظهر مصلحون يطالبون بالإصلاح إما قسراً أو اختياراً، وكان مارتن لوثر أول زعمائها وأبرزهم وأشدهم تأثيراً في تاريخ الإصلاح الديني، وقد بدأت حركته في ألمانيا. وهنا تجدر الإشارة إلى أن لوثر كان معاصراً لعدد من المصلحين الذين يمثلون الاتجاه الإصلاحي الأول الذي يركز الاهتمام على الإصلاح من الداخل مثل

إرازموس. لكن تضافرت مجموعة من العوامل ساعدت مارتن لوثر على تبني توجهاً جذرياً، كما هيّأت الأجواء أمام ألمانيا لكي تكون مهداً لحركة الإصلاح الديني الجذري. ويتمثل أول هذه العوامل في ظهور عدد من المفكرين أمثال إرازموس ، الذين انتقدوا البابوية واهتموا باللغة العبرية وترجمة الكتاب المقدس قبل أن يبدأ لوثر حركته، كما أن اختراع الطباعة في ألمانيا ساعد على نشر أفكارهم(٢١).

أما العامل الثاني فيرجع إلى انقسام ألمانيا إلى ولايات كثيرة تتبع إمبراطور الإمبراطورية الرومانية المقدسة من الناحية الإسمية فقط. الأمر الذي ساعد على انتشار أفكار لوثر. والسبب الثالث فيعود إلى أن الأزمة الاقتصادية والاجتماعية والروحية تجمعت في مطلع العصور الحديثة. والطبقة المتوسطة كانت تحاول تأكيد مكانتها وترسيخ حقوقها في المجتمع الألماني(٢٢). ويضاف إلى ما تقدم سبباً رابعاً يتعلق بوجود طبقات اجتماعية مثل الفرسان والنبلاء الذين كانوا ساخطين بسبب ما آلت إليه ظروفهم في بداية العصور الحديثة، حيث تراجعت مكانتهم كنتيجة للتطورات الاقتصادية إذ أصبحت التجارة هي النشاط الاقتصادي الرئيسي بدلاً من الزراعة، الأمر الذي جعلهم يؤيدون أي عمل معادي للكنيسة لأن من شأنه أن يعوضهم بعض ما خسروا جراء التطورات الاقتصادية**(٢٣)**. ويتضح مما تقدم مدى الإجماع في ألمانيا ضد الكنيسة الكاثوليكية، ولهذا يمكن القول أن حركة مارتن لوثر جاءت كحركة تعبير جماعية عن إرادة الشعب في تغيير الأوضاع الدينية السائدة.

ظهر مارتن لوثر في هذه البيئة القلقة فيما يتعلق بأمور الدين والدنيا والمليئة بالشكوك تجاه الكنيسة وكل الفئات المسيطرة على موارد الشعب الألماني. ولولا هذه الظروف والأجواء التي أحاطت بجهود لوثر لما كان باستطاعته إلا أن يكون "شهيداً جديداً على مقصلة الكنيسة" كما ذكر المؤرخ جون ديلبنبرغر**(٢٤)**. وأبدى اهتماماً في بداية حياته بالتأمل في مسائل العقيدة المسيحية وكيفية تكفير الذنوب. وفي سنة ١٥١٠م زار روما واطلع على فساد البابوية فأصيب بصدمة، وزادت شكوكه وتعاظم بحثه إلى أن اهتدى إلى نظرية بعثت في نفسه الهدوء والرضا والطمأنينة**(٢٥)**. وتتلخص نظريته في أن الإيمان المطلق برحمة الله، وإسداء الحمد والشكر من قلب طاهر سليم إلى العليّ القدير تكفل النجاة من العقاب، أما الطقوس فليست كافية للخلاص من الخطايا. وسُمّيت نظريته بعقيدة التبرير بالإيمان**(٢٦)**.

وعاش لوثر عدة سنوات يبشر بهذه العقيدة بين تلاميذه بهدوء. وفي سنة ١٥١٧م أرسل البابا ليو العاشر**(٢٧)** الراهب تتزل**(٢٨)** ليبيع صكوك الغفران**(٢٩)** في

مقاطعة سكسونيا شمال ألمانيا حيث يعيش لوثر، فقرر الأخير أن يعلن احتجاجه على الملأ. وانتهز الاجتماع العادي في كنيسة فتمبرج، وعلّق على باب الكنيسة احتجاجاً طويلاً مكوناً من ٩٥ مادة ضد صكوك الغفران(٣٠). وجاء في هذا الاحتجاج أن الغفران منوط برحمة الله وحدها، وليس من شأن البابا. ثم دعا من شاء من العلماء لمناقشة الحجج التي ساقها، وأكد لوثر أن الكتاب المقدس هو المرجع الأساسي في تفسير العقائد، وأن كل شخص مثقف باستطاعته أن يقرأه، وهو حر في تفسيره، وليس للبابا الحق في احتكار تفسيره، وكذلك يجب إباحة الزواج للقسس، وإخضاع رجال الدين للسلطة الزمنية(٣١).

وفي مقابل تصرف مارتن لوثر أصدر البابا ليو العاشر قراراً بالحرمان ضد لوثر، فقام لوثر بحرق القرار علانية أمام الناس في فيتمبرج، وبذلك انقطعت كل صلة بين لوثر والكنيسة، وتفاقم الأمر حتى أن البابا طلب من الإمبراطور شارل الخامس أن يلقي القبض على لوثر وقمع حركته، وتنفيذ قرار الحرمان الصادر ضده باعتباره مارقاً خارجاً على المسيحية. وصدر حكم بإهدار دم لوثر عام ١٥٢١لولا تدخل الأمير فريدريك حاكم سكسونيا ووضعه تحت حمايته في قلعة حصينة شمال ألمانيا، وخلال مكوثه في القلعة ترجم الكتاب المقدس إلى اللغة الألمانية(٣٢)، وكان لهذه الترجمة أثر كبير في إحياء الأدب الألماني ووعي الناس بالدين. واستفادت حركة الإصلاح الديني من الحماية التي وفرها أمراء شمال ألمانيا وعلى رأسهم فريديك حاكم سكسونيا خاصة وأن الإمبراطور شارل الخامس لم يتعامل بجدية بشأن تنفيذ قرار الحرمان الذي أصدرته الكنيسة بحق مارتن لوثر بسبب الخلافات بين الإمبراطور والبابا(٣٣)، وبسبب انشغال الامبراطور في حرب الدولة العثمانية على الحدود الشرقية لامبراطوريته(٣٤).

استفادتت حركة الإصلاح الديني في ألمانيا من عدم جدية الإمبراطور في مواجهتها، وأخذت تمتد وتكتسح معظم طبقات المجتمع الألماني. وانفجرت عدة ثورات مؤيدة للإصلاح الديني، وساهمت في تحريكها الظروف الاقتصادية والاجتماعية الخطيرة، واتخذت العنف وسيلة للوصول إلى أهدافها، فقامت ثورتان خطيرتان تصادم الشعب مع السلطة خلالها مما أزعج لوثر وجعله يخرج من مخبئه ليعلن أنه برئ من اتخاذ العنف وسيلة لتحقيق الهدف. وكان أهم هذه الثورات حرب الفرسان وثورة الفلاحين(٣٥).

بخصوص حرب الفرسان، فإنهم لما ظهرت الحركة اللوثرية رأوا ضرورة انتهازها كفرصة ثمينة لاسترداد نفوذهم وثرائهم عن طريق ما نادى به لوثر من استقلال الكنيسة الألمانية عن الكنيسة في روما من الناحية المالية والإدارية. ولذلك قاموا بثورة عارمة دمروا خلالها محتويات الكنائس واعتبروا أن البابا غريب عن ألمانيا وأنه يبتز أموالها بغير وجه حق، وفي نفس الوقت اتخذ الفرسان تلك الثورة وسيلة للتخلص من أعدائهم الأمراء. لكن فشلت حركة الفرسان، وانتهوا كعامل مهم في الحياة الألمانية. واعتبر البابا أن لوثر هو المسؤول، وكذلك السلطة الألمانية اعتبرته مسؤولاً عما جرى، والأمراء أصبحوا من أعداء الثورة. وكان ذلك إيذاناً بحدوث انقسام بين طبقات المجتمع الألماني. وانتهز البابا الفرصة لكي يطالب من جديد بوجوب تطبيق قرار الحرمان ضد لوثر(٣٦).

وكذلك وجد الفلاحون في تعاليم لوثر فرصة يجب استغلالها للمطالبة برفع المظالم الواقعة عليهم، سواء من طرف السلطة الدينية أو الزمنية، وتتمثل هذه المطالب في التخلص من سيطرة الإقطاع على الإنتاج الزراعي، وتخفيف الضرائب المفروضة على المزارعين، وتحديد إيجارات الأراضي الزراعية بشكل عادل، والعمل على إيجاد مجتمع مسيحي عادل، ومنحهم الحق في اختيار رجال الدين في مجتمعاتهم. وثورة الفلاحين عبارة عن مجموعة من الثورات التي تفجرت سنة ١٥٢٤م في معظم أنحاء ألمانيا، واتخذت طابعاً عنيفاً، لكن الأمراء والنبلاء أخمدوها بلا رحمة، وألقوا القبض على زعمائها وأعدموهم، وانتهت الثورة سنة ١٥٢٥م ولم تجن طبقة الفلاحين منها إلا الدمار(٣٧).

خرج لوثر من مخبئه، ودعا الناس إلى الطاعة التامة للسلطات ونبذ وسائل العنف، وحرّض الأمراء على عدم التهاون في قمع الثورة. لكن الأمراء حقدوا عليه لأن تعاليمه هي التي غرست التطلع للحرية والمساواة في نفوس الناس، فاستعدوا عليه الإمبراطور شارل الخامس من جديد، فاستجاب لهم بسبب تفاقم الحال، وخوفاً من قيام ثورات جديدة. لكن الإمبراطور كان منهمكاً في صراع خارجي ضد فرانسوا الأول(٣٨) (١٥١٥-١٥٤٧) Francois I ملك فرنسا، وضد الأتراك الذين يهددون ممتلكات الإمبراطور في النمسا والمجر. واكتفى الإمبراطور شارل الخامس بالتهدئة الداخلية في ألمانيا حتى يضمن إرسال الإمدادات للمساعدة على وقف تقدم الأتراك، ولهذا ظل مدة طويلة لا يستطيع اتخاذ موقف حاسم ضد اللوثرية مما شجع أنصارها وقوّى ساعدهم. وكذلك كانت علاقة الامبراطور بالبابا على أسوأ حال، خاصة عندما

دعا البابا كليمنت السابع(٣٩) Clement VII في مايو ١٥٢٦م إلى تكوين حلف مقدس ضد الإمبراطور بقصد القضاء على نفوذه في إيطاليا(٤٠).

ساهم مارتن لوثر في إشاعة جو التسامح تجاه اليهود في بادئ الأمر، حيث تصور أن بإمكانه هداية اليهود وتنصيرهم. وهاجم لوثر المسيحيين الذين يضطهدون اليهود، وأدان اضطهادهم من قبل الكنيسة الكاثوليكية محتجاً بأن المسيحيين واليهود ينحدرون من أصل واحد، واعتبر أن اليهود على حق في رفض المسيحية الكاثوليكية. وقد وردت هذه الأفكار في كتابه الذي نشره سنة ١٥٢٣ بعنوان "عيسى ولد يهودياً". ودفاع لوثر عن اليهودية هو جزء من نزعته التبشيرية، أي أنه غير مهتم باليهود في حد ذاتهم وإنما مهتم بهم بمقدار إمكان تنصيرهم، فهو يختتم كتابه هذا بقوله: "إذا أردنا أن نجعلهم خيراً مما هم فعلينا أن نعاملهم حسب قانون المحبة المسيحي لا قانون البابا. علينا أن نحسن وفادتهم، وأن نسمح لهم بأن يتنافسوا، وأن نتيح لهم الفرصة لفهم الحياة والعقيدة المسيحية، وإذا أصر بعضهم على عناده فما الضرر في ذلك؟ فنحن أنفسنا لسنا جميعاً مسيحيين صالحين"(٤١).

لكن موقف لوثر تغير في أواخر الثلاثينات، إذ اتخذ موقفاً متطرفاً من اليهود يفوق في تطرفه موقف الكنيسة الكاثوليكية. ونشر سنة ١٥٤٢م كتاب بعنوان "اليهود وأكاذيبهم"، وتضمن هذا الكتاب سيلاً من الشتائم والهجوم على اليهود إذ وصفهم بأنه خبثاء ولصوص وقطاع طرق وديدان مقززة. واستخدم لوثر في كتابه كل الاتهامات التي كانت توجه إلى اليهود في العصور الوسطى، مثل تهمة الدم وتسميم الآبار، واتهمهم بأنهم يلعنون المسيحيين في معابدهم، ووصف اليهودية بأنها أصبحت شكلاً من أشكال الوثنية. كما أوصى لوثر بضرورة إحراق معابد اليهود وتدمير منازلهم، وأن يُجمعوا كالقطيع في الحظائر حتى يتحققوا من أنهم ليسوا أسياداً في بلادهم وإنما غرباء في المنفى(٤٢). ورغم ذلك فقد دعا لوثر في نفس الكتاب إلى عدم إعاقة اليهود عن العودة إلى أرضهم في "يهودا" أي فلسطين. وأوصى بتزويدهم بكل ما يحتاجونه في رحلتهم، لا لشيء إلا للتخلص منهم لأنهم عبء ثقيل على المجتمعات الأوروبية(٤٣).

وخلاصة القول بشأن موقف مارتن لوثر من اليهود يتمثل في أنه بدأ ينظر إليهم، ويشيع هذه النظرة في الرأي العام الأوروبي، بطريقة مختلفة عن نظرة الكنيسة الكاثوليكية، بحيث قدّم لوثر تفسيراً مباشراً لنصوص العهد القديم. ورغم أنه بدأ في

كتاباته متعاطفاً مع اليهود، وانتهى متشائماً منهم حاقداً عليهم، إلا أنه طالب بتسهيل أو على الأقل عدم إعاقة عودتهم إلى فلسطين.

يلي مارتن لوثر من حيث الأهمية في حركة الإصلاح الديني في أوروبا رجل الدين السويسري أولريخزوينجلي(٤٤) (١٤٨٤-١٥٣١) Ulrich Zwingli، وكان لحركته الإصلاحية طابع مختلف عن تلك الموجودة في ألمانيا، وجمع بين معارضة الكنيسة الكاثوليكية وبين المطالبة بالإصلاح السياسي والاجتماعي، والتنديد بما يقترفه الحكام من مظالم تجاه الطبقات الفقيرة من الشعب. وعارض بيع صكوك الغفران كما فعل لوثر، لكنه اختلف عن لوثر في بعض المسائل الدينية مثل مسألة القربان والنظرة للكنيسة، حيث رأى زوينجلي الكنيسة مؤسسة ديمقراطية ينتخب أعضاؤها هيئة تفصل في المسائل المتعلقة بالشؤون الكنسية، بينما اعتبر لوثر أمير الولاية أو حاكم البلاد رئيساً أعلى والمهيمن على شؤون الكنيسة. وقد شارك زوينجلي في الصراعات التي قامت بين الكاثوليك والبروتستانت في سويسرا، وقُتل سنة ١٥٣١وأُحرقت جثته، وبعد وفاته تقرر احتفاظ كل مدينة من المدن السويسرية بعقيدتها(٤٥).

واعتبر زوينجلي أن تاريخ الكنيسة لا يقتصر على فترة عيسى عليه السلام وإنما يعود لآدم، وأن سيدنا إبراهيم قام بتجديد دور الكنيسة. وبالنسبة للعلاقة بين المسيحيين واليهود فيقول: "يجب أن نكون نحن واليهود شعب واحد"(٤٦).

وفي هذه الأثناء برز رجل الدين الفرنسي الإصلاحي جون كالفن، قرأ كالفن كتابات لوثر وتأثر بها. وغادر فرنسا سنة ١٥٣٦ بسبب اضطهاد فرانسوا الأول للبروتستانت، واستقر في سويسرا حيث أصدر هناك كتابه المشهور بعنوان "تنظيمات الدين المسيحي" وهو خلاصة التعاليم البروتستانتية(٤٧). اتفق مع البروتستانتية في الاعتماد على الكتاب المقدس وحده، وأن المسيح وحده هو الذي يشفع عند الله، وأن التبرير بالإيمان وليس بالأعمال. لكن الكالفنية اختلفت عن اللوثرية في مسألة الغفران، إذ كان كالفن يعتقد أن الغفران أمر قدري، والخلاص منحة يقدمها الله لمن يشاء بصرف النظر عن فضائلهم ونقائصهم. ورفض كالفن خضوع الكنيسة للدولة، أو أن يسن الملك تشريعات خاصة بالدين، وكان كالفن يطمح إلى قيام مجتمع مسيحي روحاني(٤٨)، بينما لوثر جعل الملك أو الأمير الرئيس الأعلى للكنيسة.

أما جون كالفن فلا يتسم فكره بهذا الوضوح والعنف، فلم يكن لديه علاقة كبيرة باليهود سواء في فرنسا أو في سويسرا. لكن أثر كالفن على اليهود يظهر بشكل غير

مباشر من خلال اهتمامه بالعهد القديم والدعوة إلى تعميم قراءته وتفسيره اهتماماً كبيراً، وقد ساهم هذا الأمر في نشر أساطير التوراة المتعلقة باليهود والتي تتحدث عن إقامة مملكة الله في الأرض، وعودة اليهود إلى الأرض المقدسة في فلسطين(٤٩).

يتضح مما تقدم أن حركة الإصلاح الديني في أوروبا انطوت في محصلتها النهائية على ثلاثة أبعاد رئيسية. ويمكن تقسيم هذه الأبعاد إلى:

١-البعد القومي، الذي يتمثل في تحقيق الاستقلال الديني وما ينطوي عليه من استقلال سياسي وفوائد مالية للبلد.

٢-البعد الإصلاحي الداخلي في كل دولة وفي داخل الكنائس أيضاً.

٣-والبعد الثالث هو المتمثل في الانفتاح على العهد القديم المترجم الأمر الذي حسّن صورة اليهود في أوروبا.

وبالطبع فإن إنجلترا جزء من أوروبا، فهل كان للإصلاح الديني أي أثر على موقف البريطانيين من اليهود؟! هذا ما سنناقشه في المبحثين التاليين.

المبحث الثاني

انفصال الكنيسة الإنجليزية عن روما

تمكن مؤسس أسرة ثيودور هنري السابع (١٤٨٥-١٥٠٩م) من بناء دولة قوية حيث أنهى عهداً طويلاً من الحروب الإقطاعية والنزاع بين الأسر الإقطاعية، وكان عهده فاتحة لعصر تقدم اقتصادي كبير قام على سواعد الطبقة الوسطى، التي استفادت من الكشوف الجغرافية وحركة النهضة وإحياء العلوم، فانصرف الناس للكسب والعلم والتجارة، وأصبح الملك صاحب الحل والعقد في الشؤون السياسية(٥٠). كما استطاع هنري السابع من استخدام البرلمان أداة طيعة في يده، وأصدر مجموعة من القوانين لتدعيم الملكية مثل قانون تأسيس غرفة النجم Star Charte سنة ١٤٨٧م(٥١)، وهي محكمة ذات صلاحيات واسعة لمراقبة تصرف النبلاء ومحاكمتهم، وقانون لمحاكمة المعارضين لحكومة الملك(٥٢). وهكذا استطاع هنري السابع أن يؤسس ملكية ذات سلطة مطلقة على الصعيد الداخلي.

أما على الصعيد الخارجي فلم يهتم هنري السابع بالحروب، بل اتجه للتقارب مع أسبانيا عن طريق مصاهرة ملكها. ففي سنة ١٥٠١ زوّج هنري السابع ابنه آرثر بالأميرة كاترين بنت فرديناند ملك أسبانيا(٥٣). ولم يدم هذا الزواج طويلاً إذ مات آرثر بعد خمسة شهور من زواجه، فعقد هنري السابع زواجاً ثانياً لابنه هنري (الذي عُرف بعد ذلك باسم الملك هنري الثامن) على كاترين زوجة أخيه الراحل، وكان ذلك منافياً لقوانين الكنيسة، ومع ذلك فقد منحه البابا إذناً بذلك(٥٤).

وعندما تولّى هنري الثامن (١٥٠٩-١٥٤٧م) Henry viii الحكم بعد والده ركز اهتمامه على العلاقة بالكنيسة في روما، ويمكن القول أن الإصلاح الديني يُعتبر أبرز ما حدث في عصر هنري الثامن، وبدأ هذا الانفصال سياسياً ثم تحوّل دينياً. وكان هنري الثامن كاثوليكياً متعصباً عارض أفكار لوثر في البداية، وكتب رسالة بهذا الشأن ضمّنها أفكاره سنة ١٥٢١ فمنحه البابا "لقب حامي حمى العقيدة"(٥٥). وقد تبنى هنري الثامن هذا الموقف المعارض للإصلاح الديني رغم أن عصره شهد وجود عدد من المصلحين الذين وجهوا انتقادات للكنيسة الكاثوليكية وطالبوا بإصلاحها(٥٦).

بدأ هنري الثامن يعيد تقييم علاقته بالكنيسة الكاثوليكية عندما طلب من البابا كليمنت السابعvii Clement أن يُطلّق له زوجته كاترين Cathrene التي أنجب منها ابنة وحيدة تُدعى ماري Mary، فهنري لم يتزوج كاترين عن حب، وكان مغرماً بالوصيفة آن بولين لكن البابا كليمنت السابع كان قد وقع في ذلك الوقت في أسر الإمبراطور شارل الخامس، الأمر الذي جعل البابا يمتنع عن الموافقة على الطلاق لأنه لا يريد إغضاب الإمبراطور، حاول توماس ولزاي Thomas Wolseyوزير الملك هنري الثامن استصدار أمر من روما بالطلاق لكنه فشل فحقد عليه الملك وعزله(٥٧).

عيّن الملك هنري الثامن وزيراً جديداً يُدعى توماس كرومويل Thomas Cromwell. وأشار الأخير على الملك بالانفصال عن الكنيسة الأم، ووضع كنيسة إنجلترا تحت سيادة الملك. اقتنع الملك هنري الثامن بهذا الحل واعتبر نفسه زعيماً للإصلاح(٥٨)، وحقق بذلك ثلاثة أهداف، ويتمثل الهدف الأول في طلاق كاترين والزواج من آن بولين. أما الهدف الثاني فهو تمكن الملك من الاستيلاء على الأموال التي كانت تُرسل في الأصل إلى كنيسة روما. والهدف الثالث فيتجلّى في تدعيم سلطان الملك على مقاليد الدولة الحديثة بفضل سيطرته وسيادته على جميع رعاياه من علمانيين ومتدينين. وهذه هي الروح التي أشاعتها أفكار مارتن لوثر –في عصر

الكشوف الجغرافية والنهضة الأوروبية- في عموم أوروبا، إذ أصبح الكثير من الملوك والأمراء والشعوب يتطلعون للاستقلال القومي والسياسي والديني، نظراً لما يمثله الأخير من ثروة طائلة كانت تذهب للكنيسة الأم في روما.

وكان الشعب الإنجليزي متحمساً للإصلاح بسبب إطلاعه على مساوئ الكنيسة، إضافة إلى تأييده إلى مسعى الملكية لتدعيم سلطانها وما يوفره هذا من أمان خاصة بعد الفوضى التي عانت منها البلاد في حرب الوردتين، ولأن الشعب الإنجليزي فضّل زوال سلطة البابا لأنها سلطة أجنبية وليست سلطة قومية. وساعد على تأييد الإصلاح أن المنادين به لم يهاجموا الكاثوليكية، والبرلمان أيد الملك في الإصلاح ولم يتعرض بسوء للكاثوليكية(٥٩).

ومنذ نوفمبر ١٥٢٩م انعقد البرلمان الإنجليزي لمدة سبع سنوات متتالية، وكان الإصلاح الديني هو همه الأول، فقد أصدر عدة قوانين كان هدفها إصلاح مساوئ الكنيسة وإخضاع رجال الدين في إنجلترا لسلطة الملك. واشتدت الحملة لتحقيق هذه الأهداف وبدأت بإصدار البرلمان قانون منع إرسال الأموال إلى روما، وأخر يمنع الكنيسة في إنجلترا من التصرف في شؤونها بغير موافقة الملك، وقانون يُحرّم تعيين الأقارب في الوظائف الكنسية(٦٠).

وفي سنة ١٥٣٣م أصدر الملك مرسوماً بتعيين توماس كرانمر Thomas Cranmer رئيساً لأساقفة كنتربري، وقد رفض البابا كليمنت السابع Clement vii الموافقة على تعيينه، لكن هنري الثامن لم يعبأ برفض البابا، واستصدر قراراً من كرانمر بإلغاء زواجه من كاترين والموافقة على زواجه من آن بولين(٦١). وبعد ذلك بأسابيع أصدر البابا قرار الحرمان ضد هنري الثامن، الذي كان قد تزوج من أن بولين سراً قبل أن يصدر رئيس أساقفة كانتربري موافقته الرسمية، وأنجب منها إليزابيث (فيما بعد الملكة إليزابيث) التي جعلها وريثة العرش من بعده، وألغى حق ابنته ماري التي أنجبها من زوجته الأولى كاترين(٦٢).

وفي نوفمبر ١٥٣٤م أصدر البرلمان "قانون السيادة العليا" Act of Supermacy الذي نص على أن الملك هو الرئيس الأعلى للكنيسة الإنجليزية، وله كل السلطات الروحية والقانونية التي كان البابوات يتمتعون بها في إنجلترا، ومعاقبة كل من يعترض على شخص الملك وحقوقه(٦٣). ثم صدر قانون "حل الأديرة"(٦٤)، وتم حل حوالي ٦٠٠ دير ذهبت ممتلكاتها البالغة حوالي خمس الأراضي الزراعية في

إنجلترا للملك، وينطبق نفس الأمر على إيرادات هذه الأديرة وثرواتها المنقولة الأمر الذي ترتب عليه ازدياد قوة الملكية(٦٥). وعلى الأثر أقدم الملك هنري الثامن على اتخاذ عدة قرارات لتقوية الدولة فأنشأ أسطولاً قوياً وحصّن الشواطئ ، واستطاع أن يشن حرب على فرنسا (١٥٤٣-١٥٤٦م)، ووحّد شمال إنجلترا وجنوبها، وحاول قبيل موته أن يضم اسكتلندا إلى التاج لكنه فشل(٦٦).

وقد أدت الحياة العائلية المتغيرة للملك هنري الثامن إلى تغيير نظام الوراثة، فقد تخلص من زوجته آن بولين(٦٧)Anne Boleyn، وتزوج بعدها بثلاث أخريات متتاليات. لكنه أنجب إدوارد من جين سيمون، واستصدر قراراً من البرلمان يجعل له وراثة العرش، فإذا مات من غير وريث خلفته أخته ماري بنت كاترين، فإذا لم يكن لها وريث خلفتها أختها إليزابيث. وهكذا انتقل العرش من بعده إلى ابنه إدوارد، الذي حمل لقب إدوارد السادس، سنة ١٥٤٧م(٦٨).

كان إدوارد السادس ابن عشر سنوات، فتولى خاله إرلهرتفورد Earl Hertford، وأُطلق عليه دوق سمرستDuke Somerset، وكان هذا بروتستانتياً، ولذا ألغى كل القوانين السابقة التي اضطهدت البروتستانت، ثم تحول لمناهضة الكاثوليك، وأغلق كثيراً من كنائسهم، وحوّل دخلها إلى خزينة الملك(٦٩). وفي عهد دوق سمرست سارت حركة الإصلاح الديني والتحول للمذهب البروتستانتي شوطاً كبيراً ومن ذلك إصدار كتاب الصلوات العامة Book of Common Prayers باللغة الإنجليزية(٧٠).

لكن مركز سمرست تزعزع بسبب كثرة أعدائه خاصة على خلفية الاضطرابات الداخلية التي نشأت بسبب حركة إغلاق الحقول، وسببها أن أصحاب الأراضي الصالحة للزراعة فضلوا أن يحولوها إلى مراع للأغنام لتصدير صوفها، وأقاموا أسيجة حول الأرض، وطردوا منها المنتفعين بها من صغار المزارعين، وبذلك تحولت المساحات الزراعية الكبرى إلى حقول مسوّرة لتربية الأغنام، فسادت البطالة بين المزارعين، وكان أصحاب مزارع المواشي أكثر جشعاً من الأشراف القدامى، إذ اعتبره كبار الملاك مسؤولاً عن اضطراب البلاد، واتهموه بالتبذير في الأموال العامة، وأنه جمع لنفسه ثروة طائلة من مال الكنيسة، وكذلك غضب عليه عامة الشعب بسبب الدعايات التي دُبرت ضده، وأدى كل ذلك في النهاية إلى القبض عليه وخلعه من منصبه سنة ١٥٤٩م، ثم كان نصيبه الإعدام سنة ١٥٥٢م(٧١). خلف دوق سمرست في منصبه شخص آخر يُدعى إيرل وارويك Earl Warwickالذي عُرف بلقب

دوق نورثمبلند، وهو أحد كبار الملاك، تمكن من إخماد ثورة الفلاحين، وانتشر في عهده المذهب البروتستانتي في لندن والمدن الساحلية(٧٢). وتجدر الإشارة إلى أنه تم التركيز في عهد الملك إدوار الأول على سن التشريعات التي تشجع نشر المذهب البروتستانتي خاصة قانون المذهب الواحد The Act of Uniformityالأول والذي صدر سنة ١٥٤٩ ثم جرى التأكيد عليه سنة ١٥٥٢(٧٣). وكذلك تم إصدار قانون يسمح بزواج القسس سنة ١٥٤٩(٧٤)، وقانون حل الأديرة الصغيرة(٧٥) Act dissolving The Chantries. وفي عهده تم رفع الصور من الكنائس، وحُظر التوسل للبابوات وتم نشر كتاب الصلوات العامة(٧٦)Common Prayer Book. وتجدر الملاحظة إلى أن الاهتمام بالمذهب البروتستانتي محصور في النخبة الحاكمة والتي تستهدف من ورائه تعزيز سلطتها وإحكام سيطرتها على الكنيسة وممتلكاتها ورجالها، أما الشعب الإنجليزي فلم يكن حتى هذه اللحظة مهتماً بأي تغيير ذا طابع عقائدي، ويرجع السبب في ذلك إلى أن الشعب البريطاني ليس لديه أي تجارب احتكاك عملية مع البابوية وفسادها في روما، كما أن أياً من المصلحين الجذريين لم يسبق أن زار بريطانيا، ولهذا بقي البريطانيون بعيدين عن النقاش بشأن العقيدة المسيحية، واكتفوا من الإصلاح بمكاسبه السياسية والاقتصادية.

مات إدوارد السادس، وتولت العرش بعده أخته الملكة ماري(٧٧) (١٥٥٢-١٥٥٨م) Mary، وكانت كاثوليكية متعصبة، ولهذا فإن أول قرار اتخذته كان إعادة العلاقات مع كنيسة روما، ثم ألغت جميع القوانين الدينية التي سُنّت في عهد الملك إدوارد السادس من خلال قانون الإلغاء The Act of Repeal(٧٨). وتزوجت الملكة ماري فيليب الثاني ملك أسبانيا، وهو كاثوليكي متعصب، الأمر الذي أثار الإنجليز، فقاموا بثورة تزعمها السير توماس وايت، لكن الملكة قضت على الثورة وأعدمت زعيمها. ثم بدأ الاضطهاد للبروتستانت، قتل وسجن وإحراق حتى لُقبت بالسفاحة(٧٩).

وقد كان زواجها من فيليب شؤماً عليها وعلى البلاد، فلم يقبله أحد، ولم يطب له العيش فيها فغادرها إلى الأراضي المنخفضة، ولم يعد لإنجلترا إلا لإقناع الملكة ماري بأن تشترك معه في الحرب ضد فرنسا، ولبت ماري دعوته، وكانت العاقبة وخيمة على البلاد، وذلك لأن الإنجليز أغفلوا تحصين كاليه فانتزعها الفرنسيون مع نشوب الحرب سنة ١٥٥٨، ولم تكتسب إنجلترا من مغامرة ملكتها سوى ضياع ميناء كاليه التي بقيت لها من فتوحاتها بالقارة الأوروبية في العصور الوسطى. وضج الشعب من

سوء الحال، وزاد عدد الداخلين في المذهب البروتستانتي، فقد ارتبطت الكاثوليكية في ذهنهم بالدماء المراقة، والتضحية بالمصالح الإنجليزية في سبيل أسبانيا. وفي نفس الوقت كثر عدد الهاربين منهم إلى الدول الأوروبية الأخرى خاصة هولندا. وكان معظم الإنجليز يخشون أن تُنجب الملكة من فيليب ولياً للعهد تجري في عروقه الدماء الأجنبية، لكن الملكة ماتت قبل أن يحدث هذا الأمر. وخلفتها على العرش أختها إليزابيث بتاريخ ١٧ نوفمبر ١٥٥٨ (٨٠). تجدر الإشارة هنا إلى أن الهاربين إلى داخل القارة تعرفوا على المذهب الكالفني، وهو المذهب الديني الإصلاحي الذي يولي أهمية كبيرة لقراءة العهد القديم وتفسيره بشكل حرفي بالإضافة إلى تأكيده على مقاومة ظلم الملوك والحكام، وإصلاح الكنيسة والمجتمع. فهل سيكون لهؤلاء أي أثر فيما يتعلق بالإصلاح الداخلي وموقف البريطانيين من اليهود؟!

لم تتعجل الملكة إليزابيث (١٥٥٨-١٦٠٣م) ، بشأن قطع العلاقات مع كنيسة روما(٨١). واتبعت إليزابيث سياسة الحل الوسط، وأخذت تؤسس صرحا ما عُرف باسم "الكنيسة الأنجليكانية"، وأوجدت ما أسماه المؤرخون نظام إليزابيث الكنائسي الذي يستند إلى قانونين هما: قانون السيادة العليا The Act of Supermercy ، وقانون المذهب الواحد The Act of Uniformity(٨٢). بخصوص القانون الأول فقد أكد أن الملك هو صاحب السيادة العليا، وأُلزم رجال الدين أن يُقسموا له يمين الولاء، وعدم الخضوع لأية سلطة أجنبية، ونص القانون على معاقبة المعارضين. أما قانون المذهب الواحد فقد أقر نوع العبادة التي تضمنها كتاب الصلوات الثاني لسنة ١٥٥٢م، وأدخل تعديلات في تفصيلات العقيدة تُسهّل على المعتدلين البروتستانت والكاثوليك أن يقبلوه، وبشأن الطقوس فإنها بمقتضاه لا تتنافى مع الكاثوليكية. واعتبر هذا القانون أن زواج القسيس جائزاً مع تشجيعه(٨٣).

ومنذ عهد إليزابيث بدأ نوع من الجدل يشغل الكنيسة، وكانت أول مذكرة وجهت للبرلمان سنة ١٥٧٢ هي التي كتبها كل من فيلد FieldوويلكوكسWilcox، وتعتبر هذه المذكرة من أهم بيانات البيوريتان في ذلك الوقت، حيث أكدت المذكرة على ضرورة تنظيم أسس الحكم والعلاقة بين الكنيسة والدولة وفقاً للكتاب المقدس(٨٤). أما المذكرة الثانية فقد صدرت في نفس العام، وكان كاتبها هو توماس كارترايت Thomas Cartwright، حيث هاجم فيها الأساقفة، وأشار إلى أن تعاليم الكتاب المقدس تؤكد على استقلالية الكنيسة، وأن التعاليم الكالفنية الصحيحة ترفض خضوع الكنيسة للدولة(٨٥). وتصدى في ذلك الوقت ريتشارد هوكر Richard

Hooker للدفاع عن الكنيسة الأنجليكانية فهاجم البيوريتان في كتابه "السياسة الكنسية" وأكد في هذا الكتاب أن تحديد الصواب من الخطأ لا يقتصر على نص الكتاب المقدس، بل إن تراث الكنيسة والعقل الإنساني لهما دور كبير في ذلك(٨٦). وأكد هوكر أن أمور العقيدة يحددها نص الكتاب المقدس ولكن فيما يخص العبادة والسياسة فمن حق الكنيسة أن تتبنى الأشكال التي تراها مناسبة(٨٧). لكن برزت فئة أخرى انفصالية يُطلق عليها اسم المعمدانية Anabaptism رفضت التعاطي مع الكنيسة الأنجليكانية، ومن أبرز دعاتها روبرت براون Robert Browne الذي كان يرى أن الكنيسة مؤسسة مستقلة ينضم إليها المؤمنون تطوعاً وتتشكل وفق ميثاق يُتفق عليه بينهم. ويجب أن تبقى بعيدة عن أي تدخل خارجي، وأن تكون مستقلة عن الدولة(٨٨).

وعلى صعيد السياسة الخارجية أيدت إليزابيث البروتستانت في الأراضي المنخفضة (هولندا وبلجيكا في صراعهما ضد الاحتلال الأسباني)، والهيجونوت(وهم بروتستانت فرنسا في صراعهم ضد الملك). وفي مقابل ذلك عمد فيليب الثاني ملك أسبانيا إلى التدخل في شؤون إيرلندا والعمل على إثارتها ضد الحكم الإنجليزي، وكذلك فقد توترت العلاقات بين إليزابيث ملكة إنجلترا وماري ستيوارت ملكة اسكتلندا، وهي زوجة فرنسوا الثاني ملك فرنسا،، وتجدر الإشارة إلى أن ماري ستيوارت كانت محور المؤامرات التي يديرها الكاثوليك ضد إليزابيث، وهدفهم الرئيس تنصيب ماري ستيوارت على عرش إنجلترا بدلاً من إليزابيث. لكن الظروف لم تخدم ماري ستيوارت التي اضطرت إلى اللجوء إلى إنجلترا عندما ثار عليها شعبها، وفي سنة ١٥٨٧م تمكنت إليزابيث من إعدامها.

كانت إليزابيث حريصة على الاستقلال والسلام، لكن الخلافات مع أسبانيا بشأن الدين والتجارة والمستعمرات، حيث اشتد في هذا الوقت التنافس بشأن الكشوف الجغرافية واستعمار المناطق المكتشفة واحتكار خيراتها ، كل ذلك أدى إلى حدوث الاحتكاك خاصة عندما قام فيليب الثاني ملك اسبانيا بتأييد ماري ستيوارت في عرش إنجلترا، ومساهمته في تدبير مؤامرة لاغتيال إليزابيث لتحل محلها ماري ستيوارت. وفي الوقت نفسه كانت إليزابيث تساعد الهولنديين في ثورتهم ضد أسبانيا بالمال والسلاح ثم بالعسكر مما أشعل الحرب، وقد نفّذ فيليب عزمه بتجهيز أسطول ضخم أطلق عليه إسم "الأرمادا"(٨٩)Armada. انهزم الأسبان في هذه المعركة التي وقعت سنة ١٥٨٨م(٩٠)، وبهزيمة الأرمادا اكتملت عملية تحول إنجلترا إلى بلاد بروتستانتية

وذلك لأن آمال الكاثوليك الإنجليز والاسكتلنديين تحطمت مع تحطم الأرمادا، وانتهت أحلام الكنيسة الكاثوليكية الرامية إلى التخلص من إليزابيث(٩١).

وبعد وفاة إليزابيث سنة ١٦٠٣م انتقل الملك إلى أسرة ملكية جديدة هي أسرة ستيوارت. وكان ملوك أسرة تيودور قد حكموا إنجلترا حكماً مطلقاً، لكن سلطتهم استندت إلى رضا طبقة وسطى قوية كانوا أحكم من أن يبعدوها عنهم، ولذلك لم يلجأ الملوك أو مؤيديهم في تأييد الحكم المطلق لنظرية الحق الإلهي، ولم يكن يوجد من يفكر بالمقاومة، أو من يتخيل أن هنالك إمكانية لحدوث أي نزاع بين الملك والبرلمان أو المحاكم. لكن رغم ذلك كانت تتخلق في رحم المجتمع الإنجليزي بذور مشاكل خطيرة نتيجة الاضطراب الاقتصادي الخطير الذي صحب قيام التجارة الحديثة وتحطيم الاقتصاد القديم فالتجارة تطلبت تحويل الأراضي الزراعية إلى مراع وسلب الملكية من الفلاحين الذين يشغلونها. فالأغنام تستهلك مزارع كبيرة. وبينما يتضور الفلاحون جوعاً يبدي الأغنياء مظاهر ترف في المأكل والملبس والمسكن، وبدلاً من معالجة الآثار الخطيرة لظاهرة انسحاق طبقة اجتماعية وبروز طبقة أخرى على حساب الأولى، أخذت الدولة تبتز الضرائب أو تلجأ إلى مشروعات للحرب لا تعود على البلد إلا بالخسارة إما العسكرية أو المادية على الأقل، وبرز آثار هذا التحول بجلاء في عهد أسرة ستيوارت(٩٢).

المبحث الثالث

ثورة البيوريتان في إنجلترا (١٦٢٨-١٦٦٠)

يتضح مما تقدم أن الانفصال الإنجليزي عن كنيسة روما قد بدأ في عهد الملك هنري الثامن دون أن تأخذ عملية الإصلاح هذه طابعاً بروتستانتياً، وتواصلت عملية الإصلاح في عهد ابنه الملك إدوارد السادس. أما عهد الملكة ماري فقد شهد عودة رسمية للكاثوليكية والارتباط بكنيسة روما، وترافق هذا الأمر مع اضطهاد شديد للبروتستانت أجبر الكثيرين منهم على الهرب خوفاً من الاتهام بالخيانة العظمى، وانتشروا في أوروبا. ولما توجت إليزابيث ملكة على بريطانية، وكانت بروتستانتية، فقد عاد الكثير من المهجرين وهم يحملون مفاهيم جديدة عن الكنيسة والدين، وكان أغلبهم قد تبنوا النموذج الكالفني. وكانت الملكة إليزابيث لا تفضل هذا المذهب لأنه ينادي بانفصال كامل وسريع عن كنيسة روما، إضافة إلى أن الكالفنية تنطوي على توجه معارض للملوك واستفرادهم بالسلطة وتدعو لاستقلالية الكنيسة.

إن تعامل ملوك أسرة تيودور مع موضوع الإصلاح الديني من خلال اللجوء إلى الحلول الوسط لم يقدم حلاً لمشكلة العلاقة بين السلطة الدينية والسلطة الزمنية(٩٣)، هذه المشكلة الموروثة منذ الفترة السابقة على الانفصال، والفارق بين المرحلتين أن الكنيسة في روما كانت المحدد الرئيسي لهذه العلاقة، على الأقل من الناحية القانونية، أما في عهد الانفصال عن روما فقد أصبح الملك الإنجليزي هو من يحدد شكل العلاقة مع الكنيسة الوطنية. لكن عهد أسرة تيودور لم يحسم الأمر لأنه لم يقدم حلاً جذرياً للمشكلة بسبب التردد والتغير الذي حدث في عهد الملوك المتعاقبين. وبقي شكل العلاقة بين الكنيسة والدولة يعتمد على قدرات الملوك على السيطرة وإدارة الأوضاع الداخلية، وبالتالي فإن هذا النموذج لم يستطع الصمود في وجه المتغيرات الحاصلة إذ أن الانفصال عن روما فتح أبواباً جديدة للخلاف والجدل انتهت بالثورة التي قامت بها طائفة البيوريتان (المؤمنين بالعقيدة الكالفنية بشأن استقلال الكنيسة عن الدولة) شديدة الحماس لاستقلال الكنيسة عن الدولة.

وعندما أسس جيمس الأول ملك أسرة ستيوارت كانت حركة البيوريتان(بما تحمله من أفكار بشأن الإصلاح الديني الروحاني، والسياسي الذي يطالب بتقييد سلطة الملك وتحقيق الاستقلال للكنيسة، إضافة إلى قناعتهم بأن العالم يقترب من نهايته وأن خلاص المسيحيين يتطلب عودة اليهود إلى الأرض المقدسة في فلسطين) لاتزال محبطة داخل إنجلترا، خاصة وأن جيمس الأول رفض الالتماس(The Millenary Petition الذي قدمه له ألف شخص من رجال الدين البيوريتان، الذين طالبوا الملك بإدخال تعديلات على العبادة والإدارة في الكنائس(٩٤). وكان جيمس الأول يرى أن للملك الحق في سن القوانين دون استشارة النواب، وكان يرى أنه فوق القانون، وقد ووجه باحتجاجات كثيرة من النواب الذين اعتبروا أن امتيازات البرلمان من العهود السابقة حقوق أصيلة، وأن المسائل الخطيرة المتعلقة بالملك والدولة والكنيسة والدفاع عن البلاد ووضع القوانين وصيانتها كلها من اختصاصات البرلمان. وحدث في عهد جيمس الأول أن تمت ترجمة الكتاب المقدس إلى اللغة الإنجليزية.

يمكن القول أن عهدي إليزابيث الأولى وجيمس الأول هما اللذان شهدا بدايات الجدل على خلفية الإصلاح الديني بمعناه الحقيقي، إذ أنه في البداية لم يكن هناك أي خلاف ذي مغزى بشأن العقائد والعبادات، كما لم يكن هناك أي اهتمام يُذكر من قبل الشعب بالإصلاح الديني. لقد كانت عملية الإصلاح سياسية خالصة كما تبين لنا سابقاً. وربما تكون مسرحية شكسبير تاجر البندقية(٩٥)؛ إحدى التعبيرات الأساسية عن

وجود نظرتين في المجتمع البريطاني تستخدمان الإيحاءات الدينية المستمدة من العهدين القديم والجديد لتبرير مواقفها. وقدم شكسبير(٩٦) شخصية اليهودي في هذه المسرحية بشكل مركب يتضمن عدة أبعاد، تعكس التحولات التي طرأت على رؤية المجتمع الإنجليزي لليهود واليهودية في أواخر القرن السادس عشر الميلادي نتيجة وجود فئة في المجتمع الإنجليزي تأثرت بالكالفنية.

وتعرض المسرحية لشخصيتين مركزيتين هما أنطونيو وشيلوك. ويمثل أنطونيو دور الشخصية الأرستقراطية فهو كريم يقرض أمواله بدون فوائد، ويعيش حياة مترفة، ولا يهتم بتراكم رأس المال. وعلى النقيض من ذلك تأتي شخصية شايلوك اليهودي الذي يعمل بالربا ويهتم كثيراً بتراكم رأس المال ويؤمن بالتعاقد في التعامل المالي ويدافع عنه أشد الدفاع، ويلتزم حرفية القانون لا روحه، وهو بلا عاطفة خاصة عندما يطالب برطل اللحم البشري بدل الدين الذي عجز صاحبه عن سداده.، ويجيد استخدام الكتاب المقدس في تبرير أفعاله. وهذا يعكس فهماً عميقاً لشكسبير بالكتاب المقدس، إذ يُكثر من الإشارات والتلميحات للكتاب المقدس على لسان شايلوك(٩٧).

وقد جاءت رواية شكسبير هذه لتعكس التغير الحاصل في الثقافة البريطانية بشأن اليهود، خاصة مع ترجمة الكتاب المقدس وشيوع تفسيراته الحرفية، إضافة إلى ظهور جماعات البيوريتان البروتستانت من عناصر الطبقة الوسطى الجديدة النشطة في مجال التجارة؛ والمؤمنة بتعاليم كالفن، والتي يصفها المسيري بأنها "حوّلت الزهد المسيحي في الدنيا من أجل الآخرة إلى زهد داخل الدنيا من أجل تراكم رأس المال، ولذلك كان هؤلاء يكرهون الملذات والانفاق والمسارح والمسرات. ويجئ شايلوك في هذه الرواية رمزاً لهذه القطاعات المتزمتة الملتزمة بالتراكم المالي وحسب، والتي تتنكر للعلاقات الإنسانية"(٩٨). ويأتي هذا التفسير الذي يقدمه المسيري منسجماً مع التطور التاريخي للبيئة الثقافية في إنجلترا. بينما يتوقف بعض دارسي الأدب الإنجليزي عند ظاهر ما ينطق به النص محاولاً الادعاء بأن شخصية شايلوك هي استمرار للصورة الذهنية الشريرة لليهودي في الغرب(٩٩). والأرجح أن ما يميل إليه المسيري في تفسيره هو الأقرب للصواب لأن الفترة التي عاش فيها شكسبير وهي عهد الملكة إليزابيث شهدت بداية ظهور البيوريتان الذين يؤمنون بمذهب كالفن وما يدعو له من ارتباط بالعهد القديم، إضافة إلى أن إنجلترا منذ عهد هنري الثامن احتضنت عدداً من المصلحين الدينيين مثل إرازموس وجون كولت اللذين أنجزا ترجمة للكتاب المقدس.

وقد جاء هنري فنش ١٥٥٨-١٦٢٥Henry Finchبعد شكسبير بقليل ليُصدر بحوثاً عديدة في القانون واللاهوت، ويضع قواعد تفسير النبوءات الدائرة حول الأيام الأخيرة في الكتاب المقدس أكد فيها أنه حيثما يتم إيراد أسماء إسرائيل ويهودا وصهيون وأورشاليم (في الكتاب) فإن الروح القدس لا يعني إسرائيل المعنوية أو كنيسة الرب المؤلفة من الأميين أو من اليهود والأميين على حد سواء، بل إسرائيل المتحدرة حقاً من صلب يعقوب. والحكم نفسه يجب اعتماده فيما يخص عودتهم إلى أرضهم ومرابعهم القديمة". وأكد فنش في كتاباته على أن اليهود سيُبعثون في المستقبل القريب كأمة(١٠٠).

وبمجيء شارل الأول للحكم (١٦٢٥-١٦٤٩) زادت مساوئ الملكية وبالتالي تصاعدت الاحتجاجات الشعبية والبرلمانية ضد الملك الذي يؤمن بحق الملوك الإلهي في الحكم المطلق، وفرض عدداً من الضرائب الاعتباطية، والسياسة الدينية القاسية التي اتبعها ضد البيوريتان. وعلى خلفية سياساته الداخلية والخارجية خاض الملك صراعاً مع البرلمان. وبدأ هذا الصراع سنة ١٦٢٨م عندما سجن الملك بعض أعضاء البرلمان الذين اعترضوا على منحه القروض لتمويل حربه ضد أسبانيا ودعمه الهيجونوت في فرنسا، ولهذا طالب البرلمان بتحديد سلطات الملك، وأعد عريضة تُسمى "ملتمس الحقوق" Petetion of Rights، وهي من الأوراق المهمة جداً في التاريخ الإنجليزي، وفيها لفت المجلس نظر الملك إلى ما يقوم به من ابتزاز الأموال بطرق غير شرعية هو وعماله، وطلب منه ألا يجبر أي فرد على دفع شيء من النقود بدون موافقة المجلس، وألا يسجن أحداً إلا وفق القانون(١٠١). ولما أجاب الملك هذه المطالب قرر المجلس صرف الأموال، لكن المجلس اشترط على الملك عزل أحد كبار معاونيه وهو دوق بيكنجهام الذي اشتهر بفساده منذ عهد جيمس الأول، فغضب شارل الأول وحل المجلس، ولم يعقد المجلس إلا بعد عزل دوق بكنجهام(١٠٢).

وفي هذه الأثناء كان شارل الأول يبدي ميلاً قوياً لإعادة الكاثوليكية لإنجلترا، فزوجته تعتنق المذهب الكاثوليكي، وكان النصر حليف الكاثوليك في أوروبا في تلك المرحلة من حرب الثلاثين عام (١٦١٨-١٦٤٨) حيث انتصر والنشتين على ملك الدانمرك كرستيان الرابع، أما ريشيليو الوزير الفرنسي القوي فكان قد هزم الهيجونوت وحرمهم من حقهم في التعبير عن وجودهم على الصعيد السياسي، وظهرت في إنجلترا حركة قوية تطالب بالعودة للكاثوليكية. وعلى الأثر اتسعت شقة الخلاف بين البيوريتان من أعضاء البرلمان وبين الملك فقام الأخير بحل البرلمان سنة

١٦٢٩م. وهكذا لم يكن أمام حماسة البيوريتان المتقدة لإصلاح الكنيسة وتبشير العالم برسالة المسيح إلا أن تتحول إلى تيار سياسي، خاصة وأن البيوريتان لم يكتفوا بالوعظ، بل أرادوا تنفيذ مبادئهم ونشر الورع والتقوى على طريقتهم حيث كانوا يوجهون انتقاداتهم للمسارح والرقص وعدم احترام يوم العطلة الأسبوعية، كما انتقدوا أبهة الاحتفالات، ولهذا بدأ الملك يشن حملة بمساعدة كبير أساقفة كنتربري وليام لود ضد البيوريتان، وأخذت شقة الخلاف تتسع بين الطرفين مع مرور الوقت(١٠٣).

اتسمت إدارة شارل الأول ووزرائه بأنها سيئة فزادت من كراهية الشعب له، الأمر الذي مهد السبيل للثورة، وقد تم في عهده فرض العديد من الضرائب الاعتباطية وكان من أشهرها ضريبة السفن First Writ of Ship Mony من كل الناس لبناء الأسطول(١٠٤) . وتفاقمت الأزمة سنة ١٦٣٨ عندما رفض الاسكتلنديون كتاب الصلاة الجديد الذي فرضه عليهم شارل الأول ورئيس أساقفة كانتربري وليام لود William Load على الكنيسة الاسكتلندية التي تدين بالمذهب البروتستانتي، وبسرعة كبيرة فقد شارل الأول سلطته على الحكومة وعلى الكنيسة في اسكتلندا، وفشل في استردادها بالقوة. وبسبب الحاجة للمال دعا الملك البرلمان القصير للانعقاد، لكنه عاد وحلّه بعد ثلاثة أسابيع من انعقاده، وشن حرب جديدة ضد الاسكتلنديين، لكن فشله في هذه الحرب جعلته يدعو البرلمان الطويل للانعقاد، وعندها أصبح الملك عاجز عن مواجهة مطالب البرلمان. واستمر هذا البرلمان في الانعقاد دون أن يحله أحد مدة واحد وعشرين عاماً، وأصدر البرلمان الطويل مجموعة من القوانين التي قضت على النظام الذي أدار به شارل الأول البلاد ومن هذه القوانين قانون الثلاث سنوات The Triennial Act الذي نص على وجوب عقد المجلس اجتماعه كل ثلاثة أعوام حتى لو لم يستدعه الملك، ثم ألغى البرلمان الطويل ضريبة السفن Act Declairing The Illegality of Ship money، وألغى محكمة النجم Act for The Abolition of the Court of Star Chamber، وأصدر البرلمان قانون يمنع حل البرلمان بدون موافقة أعضائه The Act against Dissolving The Long Parliament without its own consent وذلك سنة ١٦٤١م(١٠٥).

وعندما احتدم الخلاف بين الملك ومعارضيه في البرلمان على أثر مطالبة البرلمان الطويل بأن يكون الوزراء مسؤولين أمام البرلمان، حينها غضب الملك وحاول إرهاب المعارضين من خلال اعتقال زعمائهم في البرلمان، لكنه فشل في ذلك

حيث التف أهل لندن حولهم، ومنذ تلك اللحظة اندلعت الحرب الأهلية وامتدت على طول الفترة الواقعة بين (١٦٤٢-١٦٤٦) بين أنصار الملك، وبين البرلمانيين الذين يقودهم أوليفر كرومويل(١٠٦)Oliver Crowmwell، وهو قائد فذ تلقى تربية دينية بيوريتانية منذ صغره واستمر مقتنعاً بهذه الأفكار حتى آخر حياته، واستطاع كرومويل أن يصل بالثورة للانتصار على الملك، وبالفعل تم إعدام الملك شارل الأول بتاريخ ٣٠-١-١٦٤٩م، وأعلن المجلس أن حكومة إنجلترا أصبحت جمهورية وأن كرومويل هو حاكم البلاد(١٠٧).

وتمكن كرومويل من توحيد البلاد وإعادة الاستقرار لها، وأعاد هيبتها على الصعيد الأوروبي عندما هزم هولندا (وكانت هولندا آنذاك أكبر منافسي إنجلترا في البحار) وأجبرها على توقيع معاهدة تعترف بموجبها بسيادة إنجلترا على البحار، سنة ١٦٥٤م(١٠٨). وتعتبر هذه أول الحروب التي تحدث في أوروبا بسبب المنافسة التجارية -التي بلغت أوجها بين إنجلترا وهولندا في ذلك الوقت- عكس كل الحروب السابقة التي كانت الخلافات الدينية أهم أسبابها. كما أن كرومويل سعى في عهده إلى إضفاء طابع الجدية والوقار على الحياة الإنجليزية وفقاً للتعاليم البيوريتانية، لكنه رغم ذلك سمح بقدر من الحرية الدينية فانقسم البيوريتان إلى عدة طوائف منها البريسبيتريانPresbyterianوالكويكرزQuakers، ولم يتوحد البيوريتانيون مرة أخرى، ولهذا عندما مات أوليفر كرومويل لم يُفلح البيوريتان في الاستمرار في الحكم بسبب انقساماتهم وضعف قوتهم، إضافة إلى أن الرأي العام الإنجليزي لم يكن مرتاحاً لإلغاء الملكية.وانتهى حكم البيوريتان سنة ١٦٦٠م عندما تولى شارل الثاني من أسرة استيوارت عرش إنجلترا.

وحتى تكتمل صورة الدور الذي لعبه البيوريتان على صعيد التجارة لابد من محاولة اكتشاف العلاقة بين كرومويل وبين يهود المارانو، وهي القوة التجارية العالمية في القرنين السادس والسابع عشر.

العصر الميركنتيلي (التجاري) وبروز اليهود من جديد في أوروبا الغربية

شهد القرنان السادس والسابع عشر بعض التحولات العميقة للجماعات اليهودية،خاصة على أثر القمع الذي تعرض له اليهود في أسبانيا في أعقاب سقوط الحكم الإسلامي هناك سنة ١٤٩٢م، وما تلى ذلك من انتشار لدواوين التحقيق، وعلى أثر ذلك غادر الكثير من اليهود شبه جزيرة أيبريا بينما بقي الكثيرون واضطروا

للتنصر حتى ينجوا بأنفسهم من الموت، وأُطلق عليهم اسم يهود المارانو. وبدأ يهود المارانو في تكوين مراكزهم السكانية والثقافية في أمستردام وسالونيكا وفي كثير من مدن الدولة العثمانية، وكان يُطلق عليهم "السفاراد" أو "البرتغاليين". وكان-السفارديون على مستوى ثقافي رفيع نظراً لاحتكاكهم بالثقافة العربية الإسلامية، وكانت النخبة منهم على دراية بالأمور المصرفية المتقدمة. وكانت تربطهم فضلاً عن ذلك علاقات وثيقة باليهود السفاراديين في الامبراطورية العثمانية، الأمر الذي سهّل عليهم القيام بالعمليات التجارية الدولية، وبذلك أمكنهم أن يلعبوا دوراً في الاقتصاد الدولي الجديد(١٠٩).

ومن الأمثلة على تعرض يهود أسبانيا للنفي والتشتت قصة اليهودي الأسباني ألفرومينزدا كوستا Alvaro Mendez Da Costa–في عصر الصراع بين إسبانيا وإنجلترا. كان هذا الرجل قد عاش في المستعمرات الإسبانية في الهند وأمريكا اللاتينية وكوّن ثروة كبيرة؛ وامتلك خبرة واسعة في تجارة الماس. وعندما عاد إلى إسبانيا اعتقلته السلطات، وصدر أمر بنفيه من قبل دواوين التحقيق، فذهب إلى استانبول وأعلن يهوديته فيها. وفي سنة ١٥٨٧ (حيث كان عمره ٦٥سنة) عمل في السلك الدبلوماسي للدولة العثمانية(١١٠). وخلال منصبه هذا راسل الملكة إليزابيث الأولى ملكة أسبانيا وقدم لها معلومات عن تحركات الأسطول الأسباني ووعدها بمضاعفة الجهود التي ستساعد على عقاب أعداء المملكة(١١١). وفي نفس الوقت فقد راسل ألفارو الدكتور رودريجو لوبيز Rodrigo Lopez طبيب الملكة إليزابيث ، وهي رسالة تحتوي على ترتيبات بشأن التجسس على أسبانيا والبرتغال(١١٢).

ومع ظهور المارانو بدأت الحضارة الغربية تعيد توظيف اليهود من جديد، ليقوموا بالدور التجاري نفسه، ولكن بما يُعبّر عن التغيرات التي خاضها المجتمع الغربي. فبعد أن كان اليهود هم الأداة التي يمتص بها الحاكم الإقطاعي فائض القيمة من داخل مجتمعه، تحولوا إلى أداة يستخدمها حاكم الدولة المطلقة في النشاطات التي تقوم بها هذه الدولة داخل وخارج حدودها، إذ لم تعد هناك ضرورة لامتصاص فائض القيمة لأن مؤسسات الدولة كانت تقوم بتلك المهمة على وجه أفضل من خلال فرض الضرائب(١١٣).

وقد كونت الجماعات اليهودية في هذه المرحلة شبكة علاقات تجارية على مستويين: دولي متقدم، ومحلي بدائي. فكان كبار الممولين اليهود يربطون بين الدول المختلفة، ويسدون بين احتياجات الأمراء للأموال وحاجات الجيوش للتمويل. وكان

اليهود يقومون بتدبير المعادن النفيسة وأي كمية من الذهب يريدها الإمبراطور أو الأمير، ويعدوا له التموين اللازم للحملات العسكرية التي يجردها، وذلك في أسرع وقت ممكن رغم ظروف الحرب. كما كان بوسعهم من خلال الشبكة نفسها، القيام بأعمال التجسس لصالح هذا الفريق أو ذاك، وتوصيل المعلومات بسرعة غير متوفرة لأي من الفريقين المتحاربين، وذلك من خلال حلقة الاتصال اليهودية بين يهود المارانو المنتشرين في أوروبا الغربية والدولة العثمانية وأسبانيا والبرتغال(١١٤).

وكان يهود المارانو يرون أنهم يملكون ما يقدمونه للدول الغربية على الصعيد التجاري والمالي العالمي، وكانوا يستمرون في التخفي حتى يستفيدوا من الفرص الاقتصادية المتاحة أمامهم، إذ كان تهودهم يعني فقدانهم إياها. ولذا نجد أن كثيراً من المارانو بقوا في شبه جزيرة أيبريا بحثاً عن الفرصة الاقتصادية، وحفاظاً على أملاكهم من المصادرة، مؤثرين ذلك على الهجرة إلى بلد بروتستانتي أو إسلامي يمنحهم حرية العبادة ولا يمنحهم الفرصة الاقتصادية ذاتها. كما أن كثيراً من يهود المارانو الذين هاجروا إلى دول جديدة بقوا على علاقات مع المؤسسات التجارية في أسبانيا والبرتغال، ومع أعضاء أُسرهم الذين تنصروا بالفعل. وكان الحكم الأسباني والبرتغالي يستفيدان من خبراتهم واتصالاتهم الدولية، وبنفوذهم ورأسمالهم، رغم اضطهاد محاكم التفتيش، وتوجد حالات عديدة قام بها يهود المارانو بالتجسس لصالح الدولتين الأسبانية والبرتغالية(١١٥).

ولعب المارانو دوراً مهما وفعالا في تأسيس الشركات التجارية والاستيطانية الكبرى، مثل شركة الهند الشرقية وشركة الهند الغربية الهولنديتين، وساهموا في تأسيس شركات منافسة أسسها البرتغاليون ليخرجوا الهولنديين من البرازيل. كما أسس المارانو، بما كان لديهم من خبرة مالية، شركات تأمين والعديد من المصارف، حيث كانوا ذوو شهرة في التعامل مع بورصات الأوراق المالية. وأسسوا مصانع للصابون والأدوية، وساهموا في صناعة السلاح وبناء السفن. واحتكر المارانو التجارة الدولية تقريباً في سلع مثل المرجان والسكر والأحجار النفيسة، كما اشتغلوا بتجارة الرقيق بسبب وجود أعداد منهم في أوروبا والعالم الجديد ومستعمرات البرتغال في إفريقيا التي كانت تعد مصدراً رئيسياً للعبيد(١١٦).

ويوجد عاملان أساسيان ساعدا على تبوء المارانو لهذه المكانة المالية والوظيفة الضخمة وهما أن المارانو كونوا أول شبكة تجارية عالمية وأول نظام ائتماني في العصر الحديث كان يربط بين معظم أطراف العالمين الإسلامي والمسيحي بشقيه

الكاثوليكي والبروتستانتي. وامتد نشاطهم إلى العالم الجديد، حيث ارتبطوا بكثير من المشروعات التجارية للاستعمار الغربي. وتم كل ذلك في غيبة نظام ائتماني عالمي، أو نظام ثابت لعلاقات دولية. كما تزامن انتشارهم مع بداية علمنة المجتمع الغربي وظهور الحكومات المطلقة التي كانت تأخذ بالمنفعة والولاء لها وليس بالانتماء الديني معياراً للحكم على الأفراد(١١٧).

وتجدر ملاحظة أن التجارة التي اشتغل بها المارانو كانت التجارة الدولية وأن الأعمال المصرفية التي قاموا بها كانت أعمالاً مصرفية متقدمة، فكانت كلتاهما (التجارة والأعمال المصرفية) لا تشبه من قريب أو بعيد التجارة البدائية التي كان يعمل بها يهود الأشكناز أو الربا التي كانوا يشتغلون به.

منسّى بن إسرائيل وكروميل: حسابات الدين والتجارة

وفي هذه الأجواء برز التجمع اليهودي في هولندا حيث لعب دوراً مهماً في التجارة الدولية وحركة الاستعمار، الأمر الذي هيأ لقيادة التجمع اليهودي في هولندا لعب دور لصالح اليهود خارج حدودها. وقام منسّى بن إسرائيل، وهو يهودي من المارانو وُلد في البرتغال وعمل فيها، ثم فر مع أبويه واستقروا في أمستردام، حيث أصبح منسّى حاخاماً في أحد المعابد (١٦٢٢-١٦٣٩م)، وأسس أول مطبعة عبرية في أمستردام سنة ١٦٢٦م نشرت عدة كتب من بينها كتاب نحو اللغة العبرية، وطبعة لكتاب المشناة*(١١٨).

عندما استقر منسّى في هولندا في النصف الأول من القرن السابع عشر، وهو العصر الذي شهد ذروة تصاعد الكشوفات الجغرافية والاستعمار الهولندي(١١٩)، وتأثراً بتلك الأجواء فكّر منسى في الاستيطان في البرازيل، أي في التحرك مع التشكيل الغربي الاستيطاني. كان منسّى يؤمن إيماناً عميقاً بالقابلاة(١٢٠)، وانشغل بالحسابات القبالية لمعرفة موعد وصول المشيّح، وتوصل إلى أن ذلك لن يتحقق إلا بعد أن يتم تشتيت اليهود في كل أطراف الأرض. وقد كان هذا المفهوم القبالي هو أحد المبررات التي استخدمها للدفاع عن ضرورة إعادة توطين اليهود في إنجلترا، وذلك في كتابه "أمل إسرائيل" الذي ترجمه إلى الإنجليزية عام ١٦٥٠م.

شهد النصف الأول من القرن السابع عشر رواجاً للأفكار الألفية في بريطانيا، وبلغ الأمر بالألفيين أن ألقى بعضهم –من أعضاء البرلمان- خطاباتهم باللغة العبرية،

ونادوا بأن تكون التوراة هي دستور إنجلترا(١٢١).كما أن تلك الفترة شهدت شيوع أفكار شبتاي تسفي بشأن إقامة مملكة في فلسطين الأمر الذي أدى إلى قيام بعض أثرياء اليهود في أمستردام إلى بيع كل ما يملكونه استعداداً للعودة، كما استأجروا سفناً لتنقل الفقراء إلى فلسطين، واعتقد البعض الآخر أنهم سيحملون إلى القدس على السحاب(١٢٢). وقد أولى منسّى هذه الظاهرة عناية كبيرة، خاصة وأن هؤلاء الألفيين البريطانيين هم حكام بريطانيا في عهد كرومويل.

كان منسّى مقتنعاً بأن المسيح لن يظهر إلا بعد اكتمال عقاب اليهود بتشتيتهم في كل بقاع الأرض، ولما كان اليهود لا يُسمح لهم بالإقامة في بريطانيا(١٢٣)، فقد رأى أنه لا بد من بذل الجهود للحصول على تصريح يسمح لليهود بالإقامة في إنجلترا، حتى لا يشكل عدم وجودهم في هذا المكان –حسب اعتقاده- عائقاً أمام ظهور المسيح(١٢٤). فكتب منسّى إلى البرلمان الإنجليزي رسالة سنة ١٦٥٠ ملتمساً السماح لليهود بالإقامة في بريطانيا موضحاً لهم أن هذه الإقامة هي أمر مؤقت، لأن عودتهم لوطنهم الأم لن يحدث إلا إذا اكتمل تشتتهم(١٢٥). فاستقبل البرلمان رسالته بترحاب، وعلى الأثر بدأت اتصالات بين الطرفين، حيث قام اللورد مدلسكس Lord Middlesex (وهو الوسيط بين كرومويل ومنسّى) بإرسال رسالة شكر إلى منسّى مركزاً فيها على الأخوة المسيحية اليهودية، وأرفق مع هذه الرسالة تصريحا إلى منسّى بزيارة بريطانيا(١٢٦). وقام السفير الإنجليزي في هولندا أوليفر جون .Oliver St John بزيارة الكنيس اليهودي في أمستردام في أغسطس ١٦٥١، وبدأت حوارات بشأن السماح لليهود بالإقامة في بريطانيا. لكن دخول البلدين في حرب في ذات السنة أدى إلى قطع الاتصال بين أمستردام ولندن(١٢٧).

لقد كانت النخبة الحاكمة في عهد كرومويل واقعة تحت تأثير العهد القديم بشكل واضح، ودليل ذلك أنه عندما شكل كرومويل برلماناً من الصالحين والقديسين –في إطار إصلاحاته الداخلية سنة ١٦٥٣، كان هذا المجلس مكوناً من سبعين شخصاً حسب مجلس السنهدرين اليهودي(١٢٨). وطالب الجنرال هاريسون General Hareson ،وهو أحد أعضاء البرلمان، بتطبيق التشريعات التوراتية في إنجلترا. ويبدو أن منسّى كان متابعاً بدقة لهذه التحولات في إنجلترا. وعندما اجتمع البرلمان في ١٦٥٣/٧/٥ أرسل رسالة أخرى للبرلمان الإنجليزي، لكن البرلمان طلب منه أن يحضر بنفسه لحضور النقاش بنفسه، ولما كانت الحرب لا زالت دائرة فقد أجّل منسّى زيارته لإنجلترا لتنفيذ هذه المهمة(١٢٩).وعندما عقدت إنجلترا وهولندا معاهدة سلام

في أبريل سنة ١٦٥٤ اعتقد منسّى أن الوقت أصبح مناسباً لتحقيق أهدافه، فقدم عريضة في أكتوبر سنة ١٦٥٤ لكروميل يطالبه فيها بالسماح لليهود بالعيش في إنجلترا، وقرر كروميل نقاش هذه الرسالة على وجه السرعة (١٣٠).

وفي نفس الوقت، نشر منسّى مقالاً في الصحافة البريطانية، بيّن فيه الأسباب الموجبة لعودة اليهود إلى بريطانيا، وحصرها في نوعين الأول ديني، والآخر تجاري. والسبب الديني هو المتعلق بتشتتهم الكامل في كل بقاع الأرض قبل عودتهم. والسبب التجاري يتمثل في قدرة اليهود على زيادة كميات الصادرات والواردات، وذلك بفضل المزايا التي يمكن أن يمنحها اليهود للوضع الاقتصادي في إنجلترا، حيث أن يهود المارانو يملكون خبرات واسعة في مجال تبادل العملات والماس والخمور. وأضاف أن يهود هولندا يودعون أموالهم في البنوك، ويكتفون بالحصول على فائدة قدرها ٥% . إضافة إلى أن لهم علاقات وثيقة مع يهود أسبانيا والبرتغال حيث يستثمر الأخيرون أموالهم مع يهود هولندا وإيطاليا حتى يتجنبوا جشع محاكم التفتيش(١٣١).

وعلى الأثر دعا كروميل لعقد اجتماع في قاعة الوايتهول White Hall بتاريخ ١٦٥٥/١٢/٤ لنقاش مسألة منح اليهود حق الإقامة في إنجلترا من جميع جوانبها. وقد حضر هذا الاجتماع اللورد جلاينLord Chief Justice Glynn واللورد ستيل كبير البارونات Lord Chief Barons Steel ، ورئيس بلدية لندن Lord Mayor، ومسجل المدينة The Recorder of The City، وأربعة عشر رجل دين بارزون في الدولة(١٣٢).

وكان أوليفر كروميل –الذي تولى الحكم لخمس سنوات فقط (١٦٥٣-١٦٥٨م) من سنوات الثورة الإحدى عشرة، ويطمح أن يُخرج بريطانيا من مرحلة الانقسام الداخلي والحرب الأهلية، وأن يشارك هولندا في نفوذها التجاري الاستعماري فيما وراء البحار. واستخدم ذلك مبرراً إلى جانب استعداد البيوريتان الديني الجديد لإصدار موافقة برلمانية بالسماح لليهود بالعودة إلى بريطانيا والاستقرار فيها. وتطلع كروميل إلى جلب الثروات والشبكة اليهودية التجارية العالمية حيوية لإنجلترا، كتلك التي جاؤوا بها إلى هولندا بعد هروبهم من أسبانيا الكاثوليكية(١٣٣).

وطرح كروميل موضوعين للنقاش يتعلق أولهما بالإجابة على سؤال هل يُسمح لليهود بالإقامة في إنجلترا من الناحية القانونية؟ وإذا كان لا يوجد اعتراض قانوني على دخولهم فتحت أي الظروف سيتم السماح لهم بالدخول؟ وأثناء النقاش شهدت لندن

نقاشات مثيرة فهنالك مشاعر مختلطة، حيث لا زالت توجد كراهية عمياء لدى أوساط واسعة من المسيحيين، لمن صلبوا المسيح، إضافة إلى الخوف من منافسة اليهود لهم في مجال التجارة. و في المقابل ظهرت مجموعات ذات نفوذ تبدي حباً أعمى لشعب الله المختار (كما فهموا من الكتاب المقدس)، ورغبة في الاستفادة مما يمكن أن توفره لهم إمكانيات اليهود التجارية. ويُضاف إلى المخاوف الآراء المسبقة بشأن قتل الأطفال ونحت العملات.

كان كروموِيل ومؤيدوه مع السماح بدخول اليهود، أما أنصار الملكية والبابوية فكانوا ضد ذلك، وفي النقاش داخل الوايت هول استقر رأي رجال القانون على القول بأن قرار طرد اليهود من إنجلترا سنة ١٢٩٠ صدر عن الملك دون موافقة البرلمان، ولهذا فهو غير قانوني. لكن رجال الدين كلنوا معارضين بشدة للسماح لليهود بالإقامة في بريطانيا(١٣٤).

كان كروموِيل متحمساً للسماح لليهود بدخول إنجلترا، وأيده ثلاثة من رجال الدين من بينهم هيوج بيترسHugh Peters، واضطر كروموِيل لإنهاء النقاش في ١٦٥٥/١٢/١٨ دون أن يتم اتخاذ قرار بشأن السماح لليهود بالإقامة في بريطانيا. وقد شن أعداء اليهود حملة ضد كروموِيل، ومن أشهر هؤلاء وليام برين William Prynne الذي أصدر كراساً بعنوان "اعتراض قصير Ashort Demurrer" ذكر فيه أن اليهود يريدون شراء مكتبة أكسفورد، وأن يهود آسيا أرسلوا وفداً لبريطانيا ليكتشفوا هل كروموِيل هو المسيح المنتظر عند اليهود أم لا؟ وحشد في هذا الكراس كل التهم القديمة ضد اليهود(١٣٥).

وفي المقابل وجد من نادى بضرورة منح اليهود حق الإقامة في إنجلترا مثل جون ديوريJohn Dury، وكان جون ديوري قد أبدى اهتماماً منذ سنة ١٦٤٩ بمسألة عودة اليهود إلى فلسطين، وبعث إلى منسّى بن إسرائيل رسالة تتضمن العديد من الأسئلة عن موقفه من الموضوع، فاستثارت هذه الأسئلة اهتمام منسّى ولم يرد عليها برسالة فقط بل بكتاب، فأرسل إلى جون ديوري قائلاً "لقد كتبت لك مقالاً بدلاً من رسالة"(١٣٦). وكذلك قام كاتب آخر يُدعى توماس كولييرThomas Collier بتفنيد آراء براين وإثبات بطلانها، وطالب باحترام اليهود مبرراً ذلك بأنهم سيصبحون عما قريب سادة الأمم، مشيراً إلى أن خلاص المسيحيين مرتبط بهم(١٣٧).

وفي مارس ١٦٥٦ وجه منسّى بن إسرائيل مع مجموعة من اليهود المارانو المقيمين في لندن رسالة إلى كرومويل، أكدوا فيها للمرة الأولى رسمياً جذورهم اليهودية، وطلبوا من كرومويل أن يصدر قراراً مكتوباً يتيح لهم " حرية التجمع والعبادة في منازلهم وإقامة كنيس ومقبرة خاصين باليهود"(١٣٨). وبالفعل فقد وافق كرومويل ولكن شفوياً علىإقامة الكنيس والمقبرة.

لكن بخصوص السماح لليهود بالإقامة في بريطانيا بشكل كامل فقد انتظر منسّى ستة شهور في لندن للحصول على القرار الذي يريده لكن دون جدوى، لأن كرومويل وجد أنه ليس من السهل الاقتراب من المسألة اليهودية، لكن منسّى لم ييأس، وبالفعل فقد نشر مقالاً في ١٠ أبريل ١٦٥٦ أكد فيه على نفي التهم الموجهة لليهود(١٣٩).وغادر منسّى بريطانيا بتاريخ ١٦٥٧/٩/١٧محبطاً لأنه فشل في الحصول على الإذن لليهود بالإقامة في بريطانيا(١٤٠). وعند خروجه بعث رسالة إلى كرومويل جاء فيها "أيها الأمير النبيل اعمل ما في وسعك لأجل الله"(١٤١).

إن الإطلاع على الوثائق المتعلقة بهذا الموضوع خاصة مراسلات منسّى بن إسرائيل مع كرومويل ومجلس الدولة وبعض الشخصيات البيوريتانية –كما تقدم- تكشف أن قراراً بهذا الصدد لم يُتخذ، وأن منسّى غادر بريطانيا في سبتمبر ١٦٥٦ محبطاً. وفي هذا الإطار فإن المؤرخ البريطاني هارولد بولينز يعتبر أن "تحديد سنة ١٦٥٦ بداية لتاريخ اليهود الحديث في بريطانيا جاء لأن اليهود حصلوا في تلك السنة على ترخيص لبناء كنيس ومقبرة، وهما مؤسستان في غاية الأهمية بالنسبة للحياة الدينية اليهودية"(١٤٢).

في كل الأحوال فإن سنة ١٦٥٦ شهدت انفجار التراكم الذي حدث عبر ما يزيد على نصف قرن من النقاش والجدال والصراع متعدد الأبعاد داخل المجتمع البريطاني. وقد أسفر هذا التراكم عن وضع فكرة عودة اليهود إلى بريطانيا كتمهيد لعودتهم إلى فلسطين على جدول الأعمال القومي في بريطانيا. لكن هذه الفكرة ولدت بسيطة، ولم يستطع أصحابها إقناع المجتمع البريطاني بها، رغم أنهم استخدموا في تبريرها –كما تقدم- مسوغات نفعية تجارية. وعلى العكس من ذلك فإن أصحاب هذه الفكرة (البيوريتان) هم الذين سقطوا، بانتهاء عهد كرومويل سنة ١٦٥٨(١٤٣). ويبقى السؤال هل ستموت هذه الفكرة في مهدها؟ أم سيُكتب لها البقاء ويشتد عودها؟

الهوامش

)(Harrison, David: Tudor England, vol. 1, p 26.

(٢) الكنيسة الكاثوليكية Roman Catholic Church هي شعبة رئيسية من الكنيسة المسيحية تعتبر البابا رأس الهرمية النصرانية، وقد سيطرت على أوروبا بأسرها خلال القرون الوسطى. وبلغ الهجوم عليها أشده خلال الإصلاح الديني البروتستانتي، لكنها استطاعت تلافي بعض مفاسدها خلال ما عُرف باسم حركة الإصلاح الديني المضاد. وفي القرن العشرين بدأت الكنيسة تعيد النظر في تقاليدها الأيديولوجية وتعمل من أجل الوحدة المسيحية. وهي تؤمن بالأسرار المقدسة Sacraments. والأسرار المقدسة عبارة عن طقوس يعتقد النصارى أن المسيح سنها وأنها تُغدق على الإنسان نعمة الله، وهي عند أتباع الكنيستين الكاثوليكية والأرثوذكسية سبعة. الأول منها هو سر المعمودية وبه يكتسب الوليد عضويته في الكنيسة ويسقط عنه نصيبه من خطيئة آدم. والثاني: سر الكفارة أو الاعتراف وقوامه أن يعترف صاحب الخطيئة بخطيئته للكاهن. وأن يرضى بالتكفير عنها عن طريق التصدق أو الحج. والثالث هو سر القربان المقدس، ويعني تقديم الكاهن للخبز والخمر واستحالتهما إلى دم المسيح وجسده. وتقديمهما من ثم لجمهور المؤمنين. والرابع فهو سر التثبيت وبه يمسح الكاهن جبين الفتى أو الفتاة (عند سن اثني عشر عاماً) بالزيت المقدس والبلسم لجعلهما أقوى على مغالبة الإغواء في معركة الحياة. والخامس فهو سر رسامة الكاهن وبه يمنح الأسقف المرشح للكهنوت صفة الكاهن ويجيز له منح الأسرار المقدسة باستثناء سر التثبيت المقصور على الأساقفة. والسادس فهو سر الزواج وبه يربط الرجل والمرأة برباط الزوجية. والسابع فهو سر مسحة المحتضر وهو يقضي بأن يمسح الكاهن المحتضر بالزيت المقدس مشجعاً إياه على الرحلة الأبدية. أما الكنائس البروتستانتية فلا تعترف إلا بسرين اثنين هما سر المعمودية وسر القربان المقدس.

البعلبكي، منير:م. س. ذ.، ج٨ ، ص١٨٣،١٦٢.

(3)Scarisbrick, J.: Henry VIII, pp. 325-330.

(٤)مظهر، سليمان: قصة الديانات، ص٣٩٨.

(٥) لوريمر، جون: تاريخ الكنيسة، ج١، ص٤١.

Artz, Frederick: The Mind of The Middle Ages 200-1500, P61. (6)(

(٧) انظر نص المرسوم: عاشور، سعيد عبد الفتاح: م. س. ذ.، ج١، ص٦٩٧.

(٨) بولس هو أحد أكبر رؤساء الكنيسة المسيحية القدامى. اضطهد النصارى في بادئ الأمر ثم تنصر وانصرف للتبشير بالديانة الجديدة، وبخاصة في آسيا الصغرى واليونان. اعتقل في بيت المقدس ثم حوكم وأعدم في روما في عهد نيرون.

البعلبكي، منير: م. س. ذ.، ج٧، ص٢١٤.

(٩)سعيد، حبيب: سيرة حياة بولس الرسول، ص١٧-٢١.

(١٠) لوريمر، جون: م. س. ذ.، ج١، ص٦١.

(١١) سعيد، حبيب: م. س. ذ.، ص ٨٧.

(١٢) زكي، أحمد: انزعوا قناع بولس عن وجه المسيح، ص٧٢-٧٦.

(١٣) لوريمر، جون: م. س. ذ.، ج٣، ص٢١.

(١٤)ن. م.، ج٤، ص٢٧-٤٠.

(١٥) كليمنت الخامس هو بابا روما (١٣٠٥-١٣١٤) نقل مقر البابوية من روما إلى أفينون في فرنسا سنة ١٣٠٩، واتهم بالانصياع لرغبات العرش الفرنسي وبيع المناصب بالمال. موسوعة المورد، ج٣، ص٣٩.

(١٦) أفينون مدينة في الجزء الجنوبي الشرقي من فرنسا. تقع على نهر الرون، أقام فيها البابوات (١٣٠٩-١٣٧٧) وبلغ عددهم سبعة. كما أقام فيها البابوات في عصر الانشقاق الكبير(١٣٧٨-١٤١٧).

البعلبكي، منير: م. س.ذ.، ج١، ص٢٢٤.

(17)Mollat,G.: The popes at Avignon, PP. 335-343.

لوريمر، جون: م. س.ذ.، ج٤، ص٣١.
(١٨)البطريق، عبد الحميد: التاريخ الأوربي الحديث، ص ٨٩.
لوريمر، جون: م. س. ذ.، ج٤، ص٣٢.
(١٩) Desiderius Erasmusهو رجل دين وفيلسوف هولندي، يعتبر أحد وجوه الحركة الإنسانية في عصره. تلقى العلم في باريس، زار ألمانيا وإنجلترا أكثر من مرة. وحاضر في جامعتي أكسفورد وكامبردج. قاوم الاستبداد والتعصب المذهبي، وهو من دعاة الإصلاح الديني، ومن أشهر آثاره نجمة لاتينية للعهد الجديد سنة ١٥١٦م.
البعلبكي، منير: م. س. ذ.، ج٤، ص ٦٧.
(٢٠) بريتنتون، كرين: تشكيل العقل الحديث، ص ٧٨.
انظر: لوريمر، جون: م. س. ذ.، ج٤، ص٥١-٦١.
(21)Elton, G.: Reformation Europe, PP.31,33.
(22)Ibid., P.24.
(23)Ibid., P.25.
(24)Dillenberger, John (editor): Martin Luther Selections from his Writings, p xii.
(25) Elton, G.: op. cit., P. 17.
(26)Dillenberger, John (editor): op. cit., p xxv.
(٢٧)ليو العاشر Leo X (١٤٧٥-١٥٢١) هو بابا روما (١٥١٣-١٥٢١) رعا حركة الفن والأدب وجعل من روما عاصمة للثقافة الأوروبية. وهو الذي أرسل الراهب تتزل لبيع صكوك الغفران في ألمانيا.
البعلبكي، منير: المصدر السابق .، ج٥، ص١٢٠.
(٢٨)هو الراهب جوهان تتزلJohan Tetzel (١٤٦٥-١٥١٩) راهب ألماني أثارت حملته لبيع صكوك الغفران نقمة لوثر. وأدت إلى نشوء أخطر أزمة في تاريخ الكنيسة الغربية وظهور حركة الإصلاح الديني.
ن. م.، ج٩، ص١٩٢.
(٢٩) صكوك الغفران Indulgences إن سر الكفارة أو الاعتراف يعني بالخطايا التي يغفرها الله للآثم بعد توبته واعترافه. والحل الذي يتلاقاه الآثم من كاهنه هو الدليل على هذا الغفران من جانب الله، ولكن تبقى بعد ذلك العقوبة الزمنية التي يتعين على الآثم أن يخضع لها إما في هذا العالم أو عن طريق الأعمال الصالحة التي يفرض عليه القيام بها أو في العالم الآخر. وهنا يجيء دور صكوك الغفران وهي صكوك كان البابا يصدرها لتصرف، إذا جاز التعبير من خزانة النعمة التي لا تنفد فتحل الآثم من تلك العقوبة الزمنية. وخزانة النعمة هذه هي مجموع فضائل السيد المسيح والقديسين والشهداء وقد نشأت عن الرصيد المتراكم نتيجة لتحمل هؤلاء جميعاً عقوبات أكبر مما تقتضيه آثامهم إن صح أنهم قد أثموا.فكان البابا يستخدم هذا الرصيد لمصلحة من تعوزهم الحسنات والأعمال الصالحات. ولم تثر هذه الصكوك بادئ الأمر أي انتقاد، خاصة وأنها بدأت مع فترة الحروب الصليبية بحيث يدفعها من لا يريد القتال في الأرض المقدسة، لكن عندما حدث إكراه الناس على استخدامها ثارت نقمة أدت إلى قيام حركة الإصلاح الديني.
البعلبكي، منير: المصدر السابق .،ج٥، ص١٨٤.
(30)Dillenberger, John: op. cit., pp 489-500
Elton, G: op. cit., P16.
(٣١) برينتون، كرين: المصدر السابق ، ص٩٢،٩٣.
(32)Elton, G.: op. cit., P52.
(٣٣) لوريمر، جون: المصدر السابق، ج٣، ص١١٥، ١١٦.
(34)Elton, G.: op. cit., P. 53.
(35)Elton, G.: op. cit., P٥٣.

(٣٦)البطريق، عبد الحميد: المصدر السابق .، ص ٩٤-٩٧.
(٣٧) ن. م.، ص٩٨.
(٣٨) فرانسوا الأول(١٤٩٤-١٥٤٧) ملك فرنسا (١٥١٥-١٥٤٧) أحدث تغييرات اقتصادية مهمة في بلاده، حاول السيطرة على إيطاليا فجرح في الحرب ووقع في الأسر سنة ١٥٢٥.
البعلبكي، منير: المصدر السابق .، ج٤، ص١٦٣.
(٣٩) كليمنت السابع (١٤٧٨-١٥٣٤) هو بابا روما (١٥٢٣-١٥٣٤) حدثت في عهده كوارث طبيعية في عهده فعُرف ب "بابا سوء الطالع". قدم مصالحه الذاتية على كل شيء. وقع في أسر الإمبراطور شارل الخامس. ورفض تطليق كاترين الأرجوانية زوجة هنري الثامن.
ن. م.، ج٣، ص٣٩.
(٤٠)لوريمر، جون: م. س. ذ.، ج٤، ص١٥٣.
(٤١)المسيري ، عبد الوهاب: م. س. ذ.، ج٣، ص١٥.
(42) Luther, Martin: On The Jews and their Lies, p 72.
Ibid, p 33.)43(
(٤٤) هو مصلح بروتستانتي سويسري. تأثر بتعاليم مارتن لوثر، لكنه اختلف معه خاصة حول طبيعة القربان ذاهباً إلى أن له قيمة رمزية ليس أكثر. موسوعة المورد، ج١٠، ص٢١٥.
(45) Courvoisier, Jaques: Zwingli, A reformed Theologian, pp17-23.
لوريمر، جون: م. س. ذ.، ج٤، ص١٦٤-١٦٩.
(46) Courvoisier, Jaques: op. cit., p 50.
(٤٧) برينتون، كرين: م. س. ذ.، ص١٠٦.
(48) Calvin, Jean: Theological Treatises, PP 26-33.
لوريمر، جون: م. س. ذ.، ج٤، ص١٩٨- ٢٠٧.
(49)Calvin, Jean: op. cit., P35.
(50) Mackie, J.: The Earlier Tudors 1485-1558, PP. 189-195.
(51)Adams, George Burton (editor): op. cit.,P. 214.
(52) Ibid, P. 215.
(53) Mackie, J.: op. cit., P. 173.
(54)Scarisbrick, J.J: op. cit, P. 218 .
(55)Ibid., PP. 158-161.
(٥٦) برينتون، كرين: م.س. ذ.، ص٨٦،
لوريمر، جون: م. س. ذ.، ج٤، ص٢٧٩.
(57)Scarisbrick, J.: op. cit., PP. 308.
(58) Ibid, P. 398.
(59) Pollard, A.: The Evolution of Parliament, P. 173.
(60) Ibid., P. 175.
(61)Yost, John: The Reformation Defense of Clerical Marriage in The Reigns of Henry VIII and Edward VI, Church History, Vol. 50, Issue 2, 1981.
(62) Ibid., Vol. 50, Issue 2, 1981.
(63)Adams, George Burton: op. cit., P. 239,
لوريمر، جون: م. س. ذ.، ج٤، ص٢٨١.
(64)Documents Illustrative of English Church History, P. 281.
(65)Adams, George Burton: op. cit..., PP. 243.
(66)Scarisbrick, J.: op. cit., PP. 599-604.

(٦٧) آن بولين هي ثانية زوجات هنري الثامن ملك إنجلترا، تزوجها سنة ١٥٣٣م بعد طلاق كاترين، وهي أم الملكة إليزابيث. وكانت نهايتها الإعدام على يد زوجها.
البعلبكي، منير: م. س. ذ.، ج١، ص١١٦.
(68)Adams, George Burton: op. cit., P. 235.
(69)Harrison, David: Tudor England, vol. 2, p 123.
(70)Ibid., p 128.
(71)Harison, David: op. cit., vol. 2, P. 129-131.
(72) Ibid., p 132,133.
(73) Documents Illustrative of English Church History, PP. 358, 369.
(74)Ibid, P.366.
(75)Ibid, P 328.
(76)Mcgiffert, Arthur: Protestant Thought Before Kant,P.122.
(٧٧) ماري تيودود (١٥١٦-١٥٥٨) هي ملكة إنجلترا وإيرلندا. وهي ابنة هنري الثامن من كاثرين الأرجوانية. كاثوليكة متعصبة، تزوجت من فيليب الثاني ملك أسبانيا. واضطهدت البروتستانت.
البعلبكي، منير: م. س. ذ.، ج٦، ص٢٠٦.
(78)Mcgiffert, Arthur : op. cit., P.377.
(79)Harison, David: op. cit., vol.2. PP. 139-145.
(80) Ridley, Jasper: Classic Biography Elizabith I, P 74.
(81) Frankforter, Daniel: Elizabeth Bowes and John Knox A woman and Reformation Theology, Church History, Vol. 56, Issue 3, 1987.
(82) Dickens, A.: The Age of Humanism and Reformation, P. 207.
(83) Ibid., P. 208,
Adams, George Burden: op. cit., PP. 296,302.
(84)Mcgiffert, Arthur: op. cit., P126.
(85)Ibid, P126.
(86)Ibid, 126.
(87)Ibid, P127.
(88)Ibid, 130.
(٨٩) الأرمادا هو الأسطول الذي وجهه فيليب الثاني ملك أسبانيا سنة ١٥٨٨ لغزو إنجلترا، فتصدى له الأسطول الإنجليزي وأنزل به خسائر جسيمة.
البعلبكي، منير: م. س. ذ.، ج١، ص ١٦١.
(90)Ridley, Jasper: op. cit., P. 154.
(٩١) إبراهيم، عبد العزيز: محاضرات في تاريخ أوروبا، ص ١٦١
(92)Gardiner, Samuel (editor): The Constitutional Documents of The Puritan Revolution, pxi.
(93)Jones, Norman: Elizabeth and The Latin Prayer Book of 1560, Church History, vol.53, Issue 2, P. 174.
(94)Documents Illustrative of English Church History, P. 508.
(٩٥) تاجر البندقية Merchant of Venice هي كوميديا من تأليف شكسبير، خلاصتها أن أنطونيو التاجر الفينيسي يستدين من المرابي اليهودي شايلوك ثلاثة آلاف قطعة ذهبية تمكيناً لصديقه باسانيو من الزواج من بورشيا الثرية الجميلة. ويشترط المرابي على التاجر أن يقتطع رطلاً من لحمه إذا لم يرد إليه المال في الموعد المحدد لذلك. ويوافق أنطونيو ولكنه يعجز عن رد المال. فيصر شايلوك على تنفيذ ما ألزم به التاجر نفسه، وهو الموافقة على اقتطاع رطل من لحمه، وأثناء المحاكمة توافق بروشيا على هذا الاقتطاع شرط ألا يؤدي ذلك إلى إراقة نقطة دم واحدة من أنطونيو.

Mahood, M.(Editor): The Merchant of Venice, PP.1-53.

(٩٦) هو وليام شكسبير William Shakespeare (١٥٦٤-١٦١٦) كبير الشعراء الإنجليز، كان ممثلاً ومؤلفاً مسرحياً، وقد تعمق في وصف النفس البشرية خلال أعماله وقدم لها تحليلاً عميقاً. من أشهر أعماله روميو وجولييت ١٥٩٤م، تاجر البندقية ١٥٩٦م، وهاملت ١٦٠٠ن، وماكبث ١٦٠٥م.
البعلبكي، منير: م. س. ذ.، ج٨،ص ٢٠٥.

(97)Mahood, M.: op. cit., PP.184-188.

(٩٨) المسيري، عبد الوهاب: م. س. ذ.، ج٢، ص٣٧٩.

(٩٩) الراهب، هاني: الشخصية الصهيونية في الرواية الإنجليزي، ص١٥.

(00)Pragai, Michael: Faith and Fulfilment, P.14.

(01)Gardiner,Samuel: op. cit., P. 66.

(02) Ibid., P. 83.

(١٠٣) سترومبرج، رونالد: تاريخ الفكر الأوروبي الحديث ١٦٠١-١٩٧٧م، ص ١١٦.

(04)Gardiner, Samuel: op. cit., P. 105.

(05)Ibid.,PP.156,179,189.

(١٠٦) زعيم عسكري وسياسي وديني إنجليزي. تزعم جماعة البيوريتان سنة ١٦٤٠. وعند اندلاع الحرب الأهلية سنة ١٦٤٢ قاد البرلمانيين ضد الملك. وأصبح حاكم زعيم عسكري وسياسي وديني إنجليزي. تزعم جماعة البيوريتان سنة ١٦٤٠. وعند اندلاع الحرب الأهلية سنة ١٦٤٢ قاد البرلمانيين ضد الملك. وأصبح حاكم إنجلترا منذ سنة ١٦٤٩، وأعلن الجمهورية سنة ١٦٥٣. وانتهى عهده بموته سنة ١٦٥٨.
البعلبكي، منير: م. س. ذ.، ج٣، ص١٢١.

(07) Gardiner, Samuel: op. cit., P.liv.

Coward, Barry: Why Charles I Was Executed in 1649, History Review, 1998, P.32

(08)Roots, Ivan: Union or Devolution in Cromwells Britain, History Review, Issue 29, 1997.

(09)Israel, Jonathan: European Jewry in the age of Mercantalism, pp 13-16.

(10)Koblar, Franz: A treasury of Jewish Letters, Vol.2, P.380.

(11)Ibid., Vol.2, P381.

(12)Ibid., Vol.2, P.384.

(13)Polin, Harold: Economic History of The Jews in England,p 24.

(14) Ibid., P. 74

(15) Ibid., P.130.

(16) Israel, Jonathan: op. cit., P.112.

(17) Ibid., 140.

- المشناة: هي مجموعة موسوعية من التفاسير تتناول أسفار العهد القديم، وتُعد مصدراً من المصادر الأساسية للشريعة اليهودية، وتأتي في المقام الثاني بعد العهد القديم. وينقسم كتاب المشناة إلى ستة أقسام هي: كتاب الزراعة وكتاب العيد وكتاب النساء وكتاب الأضرار وكتاب المقدسات وكتاب الطهارة.
المسيري، عبد الوهاب: م. س. ذ.، ج٥، ص١٤٣.

(18)Tuchman,Barbara: Bible and sowrd, P. 153.

(١١٩) انظر: أبو علية وياغي: تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، ص٧٥،٧٦.

(١٢٠) القابلاة هي مجموعة التفسيرات والتأويلات الباطنية والصوفية عند اليهود، وهي كلمة عبرية تعني القبول أو التقبل أو ما تلقاه المرء عن السلف، أي التقاليد والتراث. وكان يُقصد بالكلمة أصلاً تراث

اليهودية الشفوي المتناقل فيما يعرف باسم الشريعة الشفوية، ثم أصبحت الكلمة تعني منذ أواخر القرن الثاني عشر التصوف اليهودي.
المسيري، عبد الوهاب: م. س.ذ.، ج٥، ص١٦٤.
(21)Graetz, Heinrich: History of The Jews, Vol. 5, P28.
(١٢٢) المسيري، عبد الوهاب: م. س. ذ.، ج٥، ص٣٠٠، ٣٠١.
(١٢٣) منذ أن طُرد اليهود من إنجلترا سنة ١٢٩٠ لم يُسمح لهم بالتواجد فيها طيلة القرون الثلاثة التالية. لكن، ورغم الحظر فقد رصدت بعض المصادر وجود أعداد ضئيلة من اليهود تسللوا إلى بريطانيا واستقروا فيها، وفي هذا السياق ترد قصة عائلة آمزAmes أو آنزAnes التي دخلت بريطانيا سنة ١٥٣١، واستمرت هناك طيلة فترة حكم الملكة إليزابيث الأولى (١٥٥٨-١٦٠٣). وينتسب إلى هذه العائلة طبيب الملكة ويُدعى رودجيروRoderigo. وقد أُعدم هذا الطبيب سنة ١٥٩٤ بتهمة محاولة تسميم الملكة. وترصد المصادر مجموعة أخرى من يهود المارانو استقرت في بريطانيا في ثلاثينيات القرن السابع عشر وهي عائلة أنطونيو فيرناندز كارفاجالAntonio FernandesCarvajal، وهو تاجر ثري ومالك سفن. وقد عمل هذا الرجل فيما بعد في تزويد كروميل بالمعلومات الاستخبارية فيما يتعلق بالصراع مع هولندا.
Lipman, V.: A history of The Jews in Britain Since 1858, PP.1-5.
(24)Graetz, Heinrich: op. cit., Vol. 5, P28.
(25)Koblar, Franz: op. cit., Vol.2, P.510.
(26)Graetz, Heinrich: op. cit., Vol.5, P33.
(27)Ibid., Vol. 5, P33.
(١٢٨) السنهدرين هي صيغة عبرية للكلمة اليونانية "سندريون" وتعني مجلس. وقد كان هذا الاسم يُطلق على الهيئة القضائية العليا المختصة بالنظر في القضايا السياسية والجنائية والدينية المهمة في المناطق التي كان يعيش فيها اليهود في فلسطين.
المسيري، عبد الوهاب: م. س.ذ.، ج٤، ص٦٣.
(29)Ibid., Vol.5, P34.
(١٣٠) السماك، محمد: الصهيونية المسيحية، ص٣٩.
(31)Graetz, Heinrich: op. cit., Vol.5, P40.
(32)Ibid,Vol.5, P43.
(33)Polins, Harold: op. cit., p31.
(34)Graetz, Heinrich: op. cit., Vol.5, P44.
(35)Ibid., Vo;.5,P45.
(36)Koblar, Franz: op. cit., Vol.2, P.508.
(37) Graetz, Heinrich: op. cit., Vol.5, P.46.
(38) Ibid., Vol.2, P519.
(39)Graetz, Heinrich: op. cit., Vol.5, P.47.
(40)Ibid., Vol. 5, P46.
(41)Koblar, Franz: op. cit., Vol.2, P521.
(42)Pollins, Harold: op. cit., P.15.
(١٤٣) أبو علية، عبد الفتاح وياغي، إسماعيل: تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، ص١٥٣، ١٥٤.

قائمة المصادر والمراجع

,قائمة المصادر

الوثائق المترجمة إلى العربية

١-أيوب، سمير: وثائق أساسية في الصراع العربي الصهيوني، ثلاثة أجزاء، م ت ف مركز الأبحاث، بيروت، لبنان، ١٩٧٢.

٢-قاسم، قاسم عبدة: الحملة الصليبية الأولى وثائق تاريخية، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، مصر ٢٠٠١.
٣-ملف وثائق فلسطين، مجموعة وثائق وأوراق خاصة بالقضية الفلسطينية، وزارة الإرشاد القومي، لبنان، ١٩٦٩.

المصادر باللغة العربية

١-الكتاب المقدس، دار المشرق، بيروت، لبنان،، ط٤، ١٩٩٧.
٢- صايغ، أنيس: الفكرة الصهيونية، النصوص الأساسية، ترجمة لطفي العابد وموسى (م ت ف) مركز الأبحاث، ، بيروت، لبنان، ١٩٧٠.
٣-مؤلف مجهول: مذكرات تاريخية عن حملة إبراهيم باشا على سوريا، تحقيق أحمد غسان سبانو، سلسلة دراسات ووثائق تاريخ دمشق والشام ٢، د.ت.
٤-هرتزل، تيودور: الدولة اليهودية، ترجمة محمد يوسف عدس، دار الزهراء للنشر، القاهرة، مصر، ١٩٩٤.

الموسوعات باللغة العربية

١-البازعي، سعد عبد الرحمن (رئيس التحرير):الموسوعة العربية العالمية ٢٨ م، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض السعودية، ١٩٩٩.
٢-البعلبكي، منير: موسوعة المورد، ٨ م، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ١٩٨٠.
٣-ليفيه، جورج وموسنييه، رولان: موسوعة تاريخ أوروبا العام، ٣ أجزاء، ترجمة أنطوان الهاشم، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٥.
٤-المسيري، عبد الوهاب: موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، ٨ أجزاء، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط١، ١٩٩٩.

المراجع العربية

١-إبراهيم، عبد العزيز: محاضرات في تاريخ أوروبا بين النهضة والثورة الفرنسية، منشورات ELGA، فاليتا، مالطا، ١٩٩٧.
٢-أبو عليّة، عبد الفتاح وياغي، إسماعيل: تاريخ أوروبا الحديث والمعاصر، دار المريخ للنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط٣، ١٩٩٣.
٢-أنيس، محمد وحراز، السيد رجب: الشرق العربي في التاريخ الحديث والمعاصر، دار النهضة العربية، القاهرة، مصر، ١٩٦٧.
٣-البراوي، راشد: تطور الفكر الاقتصادي، دار النهضة العربية، القاهرة، مصر، ط١، ١٩٧٦.
٤-البطريق، عبد الحميد ونوار، عبد العزيز: التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة إلى مؤتمر فينا، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، د.ت.
٥-جريس، صبري: تاريخ الصهيونية الجزء الأول التسلل الصهيوني إلى فلسطين ١٨٦٢-١٩١٧، القدس، فلسطين، ١٩٨٧.
٦-الجمل، شوقي وعبد الرازق: تاريخ أوروبا الحديث، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات، القاهرة، مصر ٢٠٠.
٧-الجوهري، يسري: الجغرافية الحضارية، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، مصر، ١٩٩٥.
٨-حلاق، حسان: موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية ١٨٩٧-١٩٠٩، دار الهدى، بيروت، لبنان، ١٩٩٠.
٩-حمادة، حسين: آثار فلسطين بين حرب الهياكل العظمية التوراتية اليهودية ووثائق الاكتشافات الأثرية العلمية والإدانة الدولية، د. م، د. ت.
١٠-حميدة، عبد الرحمن: جغرافية أوروبا الغربية، دار الفكر لعربي، دمشق، سوريا، ط١، ١٩٨٥.
١١-الخولي، حسن صبري: سياسة الاستعمار والصهيونية تجاه فلسطين في النصف الأول من القرن العشرين، دار المعارف، القاهرة، مصر، ١٩٧٣.

١٢-الراهب، هاني: الشخصية الصهيونية في الرواية الإنجليزية، مركز الأبحاث م ت ف، بيروت، لبنان، ١٩٧٤.
١٣-رزوق، أسعد: إسرائيل الكبرى دراسة في الفكر التوسعي الصهيوني، م ت ف، مركز الأبحاث، بيروت، لبنان، ١٩٦٨.
١٤-الزغبي، فتحي: تأثر اليهودية بالأديان الوثنية، دار البشير للثقافة والعلوم الإسلامية، القاهرة، مصر، ط١، ١٩٩٤.
١٥-زكي، أحمد: انزعوا قناع بولس عن وجه المسيح، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٥.
١٦-سعيد، حبيب: سيرة بولس الرسول، دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية بالتعاون مع دار الثقافة، القاهرة، مصر، د.ت.
١٧-سلطان، علي: تاريخ الدولة العثمانية، منشورات مكتبة طرابلس العلمية العالمية، د.ت.
١٨-السماك، محمد: الصهيونية المسيحية، دار النفائس، بيروت، لبنان، ط٣، ٢٠٠٠.
١٩-السيد، محمود: تاريخ الحروب الصليبية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، ٢٠٠٢.
٢٠-الشناوي، عبد العزيز: الدولة العثمانية دولة إسلامية مفترى عليها، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، ١٩٨٣.
٢١-الشيخ، محمد مرسي: تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، مصر، ١٩٩٥.
٢٢- ـــــــ: عصر الحروب الصليبية في الشرق، الاسكندرية، مصر، ١٩٩٨.
٢٣-صايغ، أنيس (محرر): من الفكر الصهيوني، م ت ف مركز الأبحاث، بيروت، لبنان، ١٩٦٨.
٢٤-طويلة، عبد الوهاب: الكتب المقدسة في ميزان التوثيق، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، المدينة المنورة، المملكة السعودية، ط١، ١٩٩٠.
٢٥-عاشور، سعيد عبد الفتاح: أوروبا العصور الوسطى، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، ط٨، ١٩٨١.
٢٦-عامر، عبد العزيز: بنو إسرائيل شعب الله الذي كان مختاراً، مدبولي الصغير، القاهرة، مصر، ٢٠٠٢.
٢٧-عباس، راوية: جون لوك إمام الفلسفة التجريبية، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ١٩٩٦.
٢٨-عبد الرحيم، عبد الرحيم: التاريخ الأوروبي الحديث والمعاصر، دار الكتاب الجامعي، القاهرة، مصر، ط٣، ١٩٨٦.
٢٩-عبد الملك، بطرس: قاموس الكتاب المقدس، دار الثقافة، ط١١، القاهرة، مصر، ١٩٩٧.
٣٠-عبد المولى، محمود: تطور الفكر الاقتصادي والاجتماعي عبر العصور، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، ط١، ١٩٨٦.
٣١-عبد الوهاب، أحمد: المسيح في مصادر الاعتقاد المسيحية خلاصة أبحاث علماء المسيحية في الغرب، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، ١٩٧٨.
٣٢-عثمان، أحمد: تاريخ اليهود، ثلاثة أجزاء، مكتبة الشروق، القاهرة، مصر، ١٩٩٤.
٣٣-عمران، محمود سعيد: معالم تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ١٩٨٦.
٣٤-قاسم، قاسم عبدة: ماهية الحروب الصليبية، سلسلة عالم المعرفة عدد ١٤٩، الكويت، ١٩٩٠.
٣٥-كرم، يوسف: تاريخ الفلسفة الحديثة، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط٦، ١٩٧٩.
٣٦-محادين، موفق: دورة الدين اليهودي، دار الكنوز الأدبية، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٩٧.
٣٧-محمود، أمين: مشاريع الاستيطان اليهودي، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، أكتوبر ١٩٨٥.
٣٨-مصطفى، أحمد فريد (وآخرون): تطور الفكر والوقائع الاقتصادية، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ١٩٨٥.
٣٩-مظهر، سليمان: قصة الديانات، مكتبة مدبولي، القاهرة، مصر، ١٩٩٥.

٤٠-مقار، شفيق: المسيحية والتوراة بحث في الجذور الدينية للصراع في الشرق الأوسط، رياض الريس للكتب والنشر، لندن، إنجلترا، ط١، ١٩٩٢.
٤١-نافع، بشير: الإمبريالية والصهيونية والقضية الفلسطينية، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط١، ١٩٩٩.
٤٢-نجيب، القس مكرم: قراءة عربية للمجئ الثاني للمسيح المزاعم الصهيونية لنهاية التاريخ، دار الثقافة، القاهرة، مصر، د.ت.
٤٣-نوار، عبد العزيز وجمال الدين، محمود: التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ١٩٩٩م.
٤٤-نوار، عبد العزيز وجمال الدين، محمود: تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية من القرن السادس عشر وحتى القرن العشرين، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ٢٠٠١.
٤٥-وافي، على عبد الواحد: الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ١٩٩٦.
٤٦-وافي، علي عبد الواحد: اليهودية واليهود، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، د.ت.
٤٧-يسري، عبد الرحمن: تطور الفكر الاقتصادي، الدار الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع، الاسكندرية، ط٤، ١٩٩٧.

المراجع المترجمة

١-أبو لغد، إبراهيم (محرر): تهويد فلسطين، ترجمة أسعد رزوق، م ت ف مركز الأبحاث، بيروت، لبنان ١٩٧٢.
٢-بالكين، جون (وآخرين): مدخل إلى الكتاب المقدس، ترجمة نجيب إلياس، دار الثقافة، القاهرة، مصر، ط١، ١٩٩٣.
٣-برينتون، كرين: تشكيل العقل الحديث، ترجمة شوقي جلال، عالم المعرفة عدد٨٢، الكويت، ١٩٨٤.
٤-تسمرلنغ، ديتر: النهايات الهوس القيامي الألفي، ترجمة ميشيل كيلو، قدمس للنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط١، ١٩٩٩.
٥-جارودي، روجيه: فلسطين أرض الرسالات الإلهية، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار التراث، القاهرة، مصر، ١٩٨٦.
٦-جالبريث، جون كينيث: تاريخ الفكر الاقتصادي الماضي صورة الحاضر، ترجمة أحمد فؤاد بلبع، عالم المعرفة عدد ١٦١، الكويت، أيلول ٢٠٠٠.
٧-داندسن، فرنسيس (وآخرون): تفسير الكتاب المقدس، ستة أجزاء، ط١، بيروت، لبنان، ١٩٨٨.
٨-ديزموند، ستيوارت: تيودور هرتزل مؤسس الحركة الصهيونية، ترجمة فوزي وفاء وإبراهيم منصور، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط١٩٨٩،٢.
٩-ديورانت، ول: قصة الحضارة، ٤٠ جزء، ترجمة الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية، مطابع الدجوي، القاهرة، مصر، ط٤، ١٩٧٣.
١٠- ـــــ: قصة الفلسفة، ترجمة فتح الله المشعشع، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان، ط١، د.ت.
١١-رسل، برتراند: تاريخ الفلسفة الغربية، ترجمة محمد فتحي الشنيطي، الهيءة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر،القاهرة، ١٩٧٧.
١٢-رسل، برتراند: حكمة الغرب، ترجمة فؤاد زكريا، سلسلة عالم المعرفة عدد ٦٢، الكويت، ١٩٨٣.
١٣-سباين، جورج: تطور الفكر السياسي، خمسة أجزاء، ترجمة راشد البراوي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ١٩٦١.
١٤-سبرول، ر. ك: حقائق وأساسيات الدين المسيحي، ترجمة نسيم سلامة، مكتبة المنار، القاهرة، مصر، ٢٠٠٠.
١٥-سترومبرج، رونالد: تاريخ الفكر الأوروبي الحديث ١٦٠١-١٩٧٧، ترجمة أحمد الشيباني، دار القارئ العربي للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط٣، ١٩٩٤م.

١٦-سترونج، ماري: سفر الرؤيا والأزمنة الأخيرة، ترجمة، ماستير ميديا، إدارة مكتبات النيل المسيحية، القاهرة، مصر، ١٩٩٤.
١٧-شوفالييه، جان جاك: تاريخ الفكر السياسي من المدينة الدولة إلى الدولة القومية، ترجمة محمد عرب صاصيلا، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط٤، ١٩٩٨.
١٨- ـــــ: تاريخ الفكر السياسي من الدولة القومية إلى الدولة الأممية، ترجمة محمد عرب صاصيلا، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط٣، ٢٠٠٢.
١٩-فرته، مير: عودة اليهود في الفكر البروتستانتي الإنجليزي ١٧٩٠-١٨٤٠، ترجمة فاضل جتكر، قدمس للتوزيع والنشر، دمشق، سورية، ط١، ٢٠٠١م.
٢٠-فشر، هارولد: تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، ترجمة محمد مصطفى زيادة، مصر، د. ت.
٢١-كيتشنام، رالف: من مستعمرة إلى دولة مستقلة ثورة الفكر الأمريكي ١٧٥٠-١٨٢٠، ترجمة ثابت رزق الله، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، د.ت.
٢٢-لوريمر، جون: تاريخ الكنيسة، خمسة أجزاء، ترجمة عزرا مرجان، دار الثقافة، القاهرة، مصر، ط١، ١٩٩٠.
٢٣-مكدويل، جوش: برهان يتطلب قراراً (براهين تاريخية على صحة الإيمان المسيحي)، ترجمة منيس عبد النور، دار الثقافة، القاهرة مصر ١٩٧٧.
٢٤-هامرتون، السير جون: تاريخ العالم، ٥م، ترجمة إدارة الثقافة بوزارة التربية والتعليم، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر،ط٢، د. ت.
٢٥-هلستر، س.: أوروبا العصور الوسطى، ترجمة محمد فتحي الشاعر، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، ١٩٨٨.

الرسائل الجامعية
١-سليم، محمد عبد الرؤوف: تاريخ الحركة الصهيونية الحديثة ١٩١٤-١٩١٨، رسالة ماجستير غير منشورة، إشراف أ. د. أحمد عزت عبد الكريم، جامعة الدول العربية، معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٧١.
٢-عبد القوي، زينب عبد المجيد: دور إنجلترا في الحروب الصليبية في الفترة من ١١٨٩-١٣٩١، رسالة دكتوراة غير منشورة، جامعة الزقازيق قسم التاريخ، إشراف د. قاسم عبدة قاسم، ١٩٩٣.
المقالات باللغة العربية
١-حصو، توفيق يوسف: الصهيونية الأمريكية وفلسطين حتى الحرب العالمية الأولى، المستقبل العربي، عدد ١٠٤، أكتوبر ١٩٨٩.
٢-الخالدي، محمد علي: يوتوبيا أم تبشير صهيوني قراءة في رواية هرتسلألتنيولاند، مجلة الدراسات الفلسطينية، عدد ٤٥-٤٦ شتاء وربيع ٢٠٠١.
٣-العيسى، محمد عبد الله: الفكرة الصهيونية عند هرتزل بين النظرية والتطبيق، مجلة الدراسات والعلوم الإنسانية، م ٢٠أ، عدد ٢، ١٩٩٣.
٤-محمود، أمين: الصهيونية فكرة ودولة في كتابات أحاد هعام، مؤتة للبحوث والدراسات، جامعة مؤتة، عدد ١، م ٢، حزيران ١٩٨٧.

الوثائق باللغة الإنجليزية
1- Adams, George Burton (Editor): Select Documents of English Constitutional History, Macmillan, New York, USA, 1901.
2- Gardiner, Samuel (editor): The Constitutional Documents of The Puritan Revolution 1625-1660, Clarendon Press, Oxford, England, 1951.
3- Joseph, Jacobs: The Jews of Angiven England (Documents and Rolls)

4 - Koblar, Franz: A Treasury of Jewish Letters (Letters from The Famous an The Humble, 3 Vols., Jewish Publication Society, Philadelphia, 1953.
5 - Tanner, J. (Editor): Constitutional Documents of The Reign of James I, Cambridge University Press, London, England, 1952.
6- Tawney, R. H.: Tudor Economic Documents, Longmans, London, England, 1924.
7- Weisgal, Meyer (Editor): The Letters and Papers of ChaimWeizman August 1914- November 1917, Israel University Press, Jerusalem, 1975.
8- Wiener, Joel (Editor): Great Britain Foreign Policy and The Span of Empire 1689-1971 A Documentary History, Chelsea House Publishers, New York, USA, 1972.
9- The Statutes of The Realm, 11 Vols., Record Commission, London, England, 1828.
10- Documents Illustrative of English Church History, Macmillan, Washington, 1896.

المصادر باللغة الإنجليزية

1- Bigham, Clive: The Prime Ministers of Britain 1721-1921, E.P. Dutton, New York, USA, 1922.
2- Calvin, Jean: Theological Treatises, Trans. J. Reid, Westminster Press, 1954.
3- Cecil, Lady Gwendolen: Life of Robert Marquis of Salisbury, Hodder and Stoughton Limited, London, England, W. H.
4- Dillenberger, John (Editor): Martin Luther Selections from His Writings, Doubleday, New York, USA, 1961.
5- George, Lloyd: The Truth About The Peace Treaties, V. Gollancz, London, UK, 1938.
6- George, Lloyde: War Memories, 2Vols., Odham Press, London, UK, 1938.
7- Hayward, Sir John: Annals of The First Four Years of The Reign of Queen Elizabeth, Ams Press, New York, USA, 1968.
8- Jacobs, Joseph: The Jews of Angiven England Documents and Records, London, 1893.
9- Locke, John: Two Treatises of Civil Government, G. Routledge, London, UK, 1884.
10- ----------: A letter Concerning Toleration, A Liberal Arts Press Book, Chicago, USA, 1955.
11- Lord Lindsy: Letters on Egypt Edom and the Holy Land, 2 Vols., Henry Colbrun Publisher, London, England, 1838.
12- Lowenthal, Marvin (Editor): The Diaries of Theodor Herzl, The Dialy Press, USA, 1962.

13- Luther, Martin: On The Jews and Their Lies, Trans. By Martin Bertram, /www.fordham.edu/halsall.
14- Roger of Hovden: The History of England and of Other Countries of Europe From AD 732 to AD 1201, 2 Vols., London, England, 1853.
15- Sokolow, Nahum: History of Zionism 1600-1918, 2 Vols., Ktav Publishing House INC., New York, USA1969.
16- Weizmann, Chaim: Trial and Error The Autobiography of Chaim Weizmann, Shocken Books Inc., New York, USA, 1960.
17- William of Newburgh: History of England, www.fordham.edu/halsall/basis

الموسوعات باللغة الإنجليزية

1-Encyclopedia Amrecana, 30 Vols., Grolier incorporated, New York, USA., 1981.
2-Encyclopedia Britannica, 33 Vols., Robert P. Gwinn, Printed in USA.
3- Encyclopedia Judaica, Keter Publishing House, Jerusalem, 1972.
4- The Jewish Encyclopedia, 12 Vols., New York and London Funk and Wagnalls Company 1901.

المراجع باللغة الإنجليزية

1- Abrahams, Israel: Jewish Life in the Middle Ages, The Jewish Publication Society of America, USA, 1969.
2- Allen, J.: English Political Thought 1603-1660, Methuen, London, England, 1938.
3- Amery, Julian: The Life of Joseph Chamberlain, 4 Voks., Macmillan, London, England, 1951.
4- Anderson, G.: Tradition and interpretation, Clarendon Press, Oxford, England, 1979.
5- Anderson, M.S: The Eastern Question 1774-1923 A Study in International Relations, Macmillan, London, England, 1966.
6- Arnold, Mathew: St. Paul &Protestanism With an Essay on Puritanism & The Church of England, Macmillan, New York, USA, 1883.
7- Ashton, T. S.: An Economic History of England in The 18th Century, Meuthen, London, England, 1955.
8- Artz, Frederick: The Mind of The Middle Ages 200-1500 An Historical Survey, Clarendon Press, Chicago, USA, 1954.
9- Beer, George Louis: British Colonial Policy 1754-1765, Peter Smith, New York, USA, 1958.
10- Bein, Alex: Herzl, Translated by Maurice Samuel, The Jewish Publication Society of America, New York, USA. 1982.
11- Best, Geoffery: Mid Victorian Britain 1851-1875, Schoken Books, New York, USA, W.D.
12- Cadman, Parkes: The Three Religious Leaders of Oxford and Their Movements (John Wycliffe, John Wesley, John Henry Newman), Macmillan Company, New York, USA, 1916.

13- Cain, P. J.: British Imperialism (Innovation and Expansion) 1688-1914, Pearson Publication UK, London, UK, 1993.
14- Christie, Ian: Wars and Revolutions Britain 1760-1815, Edward Arnold Ltd., London, England, 1982.
15- Cohen, Stuart: English Zionists and British Jews The Communal Politics of Anglo Jewry 1895-1920, Princeton University Press, New Jersy, USA,
16- Court, W.: A Concise Economic History of Britain from 1750 to Recent Times, Cambridge Press, London, England, 1962.
17- Courvoisier, Jaques: Zwingli A reformed Theologian, John Knox Press, Richmond, 1963.
18- Cragg, G.: From Puritanism To The Age of Reason A Study of Changes in Religious Thought Within The Church of England 1660-1700, Cambridge, England, 1950.
19- Deblij, H. and Muller, Peter: Geography Realms, Regions and Concepts, Seventh Edition, 1999.
20- Dickens, A. G.: The Age of Humanism and Reformation Europe in The Fourteenth and Sixteenth Centuries, Prentice Hall International Inc., London, England, 1977.
21- Elton, G. R.: Reformation Europe, William Collins Sons & Co. LTD, Glasgow, London, Great Britain, 1963.
22----------: The Tudor Revolution in Government Administrative Changes in The Reign of Henry VIII, Cambridge, 1962.
23- Endelman, Todd: The Jews of Britain 1656-2000, University of Calefornia Press, London, England, 2002.
24- Eyre, A.: An Outline of History of England, Longman Back ground Books, 1978.
25- Gibon, Edward: The Decline and Fall of The Roman Empire, 6 Vols., A millennium project, London, UK., 1994.
26- Glick, Leonard: Abraham Heirs (Jews and Christian in Medieval Europe), Syracuse University Press, New York, USA, 1999.
27- Graetz, Heinrich: History of the Jews, 5 Vols., Jewish Publication Society of America, Philadelphia, 1949.
28- Grimes, Alan: Modern Political Ideologies, Oxford University Press, New York, USA, 1959.
29- Harrison, David: Tudor England, 2 Vols., Cassell Place of Publication, London, England, 1953.
30- Hazen, Charles Downer: The French Revolution and Napoleon, H. Holt, New York, 1917.
31- Hobsbawm, E. J.: The Age of Revolution Europe 1789-1848, Weidenfeld and Nicolson, London, England, 1962.
32- Israel, Jonathan: European Jewry in The Age of Mercantalism 1550-1750, The Littman Library, London, England, 1989.

33- Jones, R.: Economic and Social History of England 1770-1970, Longman Group Limited, London, 1971.
34- Judd, Denis: The British Imperial Experience from 1765 to The Present, Basic Books, New York, USA, 1997.
35- Khalidy, Walid (Editor): From Haven To Conquest, The Institute for Palestinian Studies, Beirut, Lebanon, 1971.
36- Koebner, Richard: Empire, University Press of Cambridge, Cambridge, England, 1961.
37- Lipman, V.: A History of The Jews in Britain, Holmes & Meier, New York. 1990.
38- Ludovici, Anthony: The Jews in England, Boswell Publishing Company, London, England, 1938.
39- Mackie, J.: The Earlier Tudors, 1485-1558, Clarendon Press, Oxford, England, 1952.
40- Mahood, M. (Edited By): The Merchant of Venice, Cambridge University Press, Cambridge, Great Britain, 1987.
41- Mathew, David: The Age of Charles I, Eyre &Spottiswoode, London, England, 1951.
42- Mcgiffert, Arthur: The Protestant Thought Before Kant, Scribners Sons, New York, USA, 1931.
43- Mollat, G.: The Popes at Avignon, 1305-1378, T. Nelson and Sons, New York, USA, 1963.
44- Monypenny, William: The Life of Benjamin Disraeli, 6 Vols., John Murray, London, England, 1910.
45- Pollard, A.: The Evolution of Parliament, Longmans Green and Co., London, UK, 1926.
46- Polins, Harold: Economic History of the Jews in England, The Littman Library of Jewish Civilization, London, England, 1982.